الكتاب الجامع للفضائل

(٣٨)

فضـــل مصـــر

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضـــل مصـــر

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله -تعالى-، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل مصر

١- مصر بلد مباركة:

٢- مصر أرض مقدسة:

٣- مصر منازل صدق وَمُبَوَّأ صدق:

٤- مصر الربوة ذات القرار والمعين التي جاءت في القران الكريم:

٥- أقسم الله في قرآنه بطور مصر الذي ناجى عليه موسى عليه السلام وكلَّمه:

٦- بمصر أثر من أثار الجنة، ونهر من أنهارها، وهو نهر النيل:

٧- أوصى النبي ﷺ بأهلها خيرًا، وأثنى عليهم:

٨- جبل الطور بمصر هو حرز عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في آخر الزمان:

٩- أم إسماعيل بن إبراهيم هاجر-عليها السلام-مصرية جعل اللهُ خطواتها ركنًا من أركان الحج:

١٠- تقلد يوسف عليه السلام الوزارة في مصر.. ولقياه لأبيه يعقوب وإخوته-عليهم السلام:

١١- على أرضها المباركة نصر اللهُ كليمه موسى عليه السلام على فرعون وهامان:

١٢- وعلى أرضها وتحت سمائها عاشت آسية زوج فرعون لتسطر أعظم ثبات على العقيدة:

١٣- وعلى أرض مصر سطر السحرة أروع الأمثلة في إعلان حرية القلب المؤمن من كل قيود الأرض.. وانتصار العقيدة على الحياة:

١٤- وفي مصر كانت الوفادة الكريمة لعيسى ابن مريم وأمه-عليهما السلام-:

١٥- ومن نسائها كانت "مارية القبطية" أم ولد النبي ﷺ (إبراهيم-رضي الله عنه)

١٦- وفتحت مصر، ودخلت على يد رجل من أهل الجنة هو الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه:

١٧- كان للزبير بن العوام رضي الله عنه حواري الرسول ﷺ أعظم الأثر في فتح مصر:

١٨- وفتحت الإسكندرية على يد الصحابي النقيب العقبي البدري عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

١٩- وشرفت مصر بقدوم الصحابة الكرام، والفاتحين العظام:

٢٠- ومن فضائل مصر: أنه خرج منها علماء ربانيين تربوا على أرضها، وشربوا من نيلها:

٢١- ومن فضائل مصر: أنه خرج منها محدثون عظام وحفاظ:

٢٢- ومن أهل مصر العباد والزهاد والحكماء:

٢٣- أبطال مصر الميامين من المجاهدين الفاتحين الذين سطروا أنصع الصفحات:

خطبة الشيخ عبد الرحمن العريفي-حفظه الله - في فضل مصر

فضـــل مصـــر[1]

مصر لها فضائل عديدة، ومناقب كثيرة، ولم يكن من فضلها إلا أن رب العالمين ذكرها في كتابه الكريم لكفى بهذا شرفًا وفخرًا لها ولأهلها.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس:٨٧)

وقال تعالى مخبرًا عن فرعون عندما قال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ (الزخرف:٥١)

وقال تعالى مخبرًا عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١)

وقال تعالى مخبرًا عن نبيه يوسف أيضًا عندما قال لأهله: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩)

وقال تعالى مخبرًا عن قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [2] (البقرة:٦١)

وإليك أخي الحبيب طرفًا من فضائل مصر:

١- اتقوا الله في مصر لفضيلة الشيخ الدكتور سيد بن حسين العفاني-حفظه الله- بتصرف.

٢- الراجح في هذه الآية أنها ليست مصر فرعون ولكنها أي مصر من الأمصار، يقول ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره:١٠١/١": قال ابن عباس –رضي الله عنهما- (اهْبِطُوا مِصْرًا) أي: أي مصر من الأمصار. وقال ابن جرير-رحمه الله- ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون، ثم توقف في المراد ما هو؟ أمصر فرعون، أم مصر من الأمصار؟! والحق أن المراد: أي مصر من الأمصار، كما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما – وغيره، وكأن المعني أن موسى-عليه السلام- يقول لهم: هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز، بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه، ولهذا قال:(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) أي ما طلبتم، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر، ولا ضرورة فيه، لم يجابوا إليه والله أعلم. أهـ بتصرف واختصار

١- مصر بلد مباركة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف:١٣٧)

قال القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره: ٤/ ٢٧٠٨": الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط... والأرض هي أرض الشام ومصر. ومشارقها ومغاربها: جهات الشرق والغرب بها

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: فيها ثلاثة أقوال:

(أحدهما): مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن.

(والثاني): مشارق أرض الشام ومصر.

(والثالث): أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

(باركنا فيها): قال ابن عباس: بالماء والشجر. (زاد المسير لابن الجوزي: ٢٥٣/٣)

وهي مباركة -أيضا- بدخول الأنبياء إليها، ومرور أقدامهم عليها: دخلها من الأنبياء: إدريس، وإبراهيم الخليل، وإسماعيل، ولوط، ويعقوب، وأولاده: يوسف وإخوته، وموسى وهارون، ويوشع بن نون، وعيسى، ودانيال وإرميا.

(انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي:٦٥/١) (حسن المحاضرة للسيوطي:٣١/١)

٢- مصر أرض مقدسة:

قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١)

نقل ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٥/ ١٤٩": عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: في قوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: هي الطور وما حوله. وكذا قال مجاهد وغير واحد. أهـ

وقال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره:٤/ ١٧١": عُني بقوله ﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة المباركة، وقال مجاهد: المباركة، وذكر ما قيل فيها من الأقوال، ومنها: قول مجاهد: الطور وما حوله. ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدسة كما قال نبي الله موسى عليه السلام، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك. أهـ

وقفة:

وإن كانت بمصر أرض مقدسة، فإن الأرض المقدَّسة لا تُقَدِّس أحدًا، إنما يقدَّس الإنسانَ عملُهُ.

٣- مصر منازل صدق ومُبَوَّأ صدق:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس:٩٣)

قال الطبري-رحمه الله- في تفسيره: ٦/١٦":

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منازل صدق، قيل: عُنِيَ بذلك: الشام وبيت المقدس، وقيل: عُنِيَ به الشام ومصر. وقال الضحاك: منازل صدق: مصر والشام. أهـ

٤-مصر الربوة ذات القرار والمعين التي جاءت في القران الكريم:

قال تعالى عن عيسى وأمه مُمْتَنًّا عليهما ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون:٥٠)

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره: ٩/٢٦": من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة، وساحة، وذات ماء ظاهر . والربوة: مكان مرتفع ذو استواء. والمعين: الماء الظاهر كما قال مجاهد، وسعيد، وقال ابن عباس: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وقال ابن جرير مفندًا أن تكون هي الرملة:" الرملة لا ماء بها معين ".

وقال سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ إلى ربوة من رُبَا مصر، قال: وليس الرُّبا إلا في مصر، والماء حين يرسل تكون الرُّبا عليها القرى، لولا الرُّبا لغرقت تلك القرى. أهـ

وقال ابن تغري بردي-رحمه الله- : قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وغيرهم: هي مصر (النجوم الزاهرة: ١/٣٦)

ورد في كتاب" فضائل مصر"، لعمر بن محمد بن يوسف الكندي صـ٢٤: قال بعض علماء مصر:

هي البهنسا، وقبط مصر مجمعون على أن المسيح ابن مريم وأمه-عليهما السلام-كانا بالبهنسا، وانتقلا عنها إلى القدس. أهـ

وقال بعض المفسِّرين: الربوة: دمشق.

٥-أقسم الله في قرآنه بطور مصر الذي ناجى عليه موسى-عليه السلام- وكلَّمه:

قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣)

والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، وكريم عليه.

فأما طور سينين، فالطور: جبل، وهو الجبل الذي كلَّم اللهُ موسى عليه (قاله الأكثرون)

وسينين: لغة: في سيناء. قال ابن الأنباري: (سِينِينَ) هو سيناء، قال أبو جعفر الطبري بعد سرده للأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافة سينين، تعريف له، ولو كان نعتًا للطور كما قال من قال: حسن أو مبارك[١]، لكان الطور مُنَوَّنًا، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته لغير علَّة تدعو إلى ذلك.

قال ابن كثير-رحمه الله-:" وقال بعض الأئمة:" هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحدٍ منها نبيًا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان أمنًا، وهو الذي أرسل فيه محمد ﷺ ، قالوا: وفي أخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء – يعني: الذي كلم عليه موسى بن عمران، وأشرق من ساعير- يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى ، واستعلن من جبل فاران- يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمدًا ﷺ فذكرهم مخبرًا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما".

وعلى هذا القول: يكون "طور سينين" أشرف من "بيت المقدس"، وإلى هذا ذهب ابن القيم -رحمه الله- فيما قاله: "فأقسم الله ﷻ بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام، والأمم الكثيرة . فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما، وهو أرض بيته المقدس، فإنها أكثر بقاع الأرض زيتونا وتينا. وقد قال جماعة من المفسرين: إنه – سبحانه- أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العزة فيهما... وهذا الذي قالوه حق، ولا ينافي أن يكون منبته مرادًا، فإن منبت هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة، فيكون الإقسام قد تناول الشجرتين ومنبتهما، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى ابن مريم عليه السلام ، كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى، فإنه الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه ثم أقسم بالبلد الأمين، وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله، سيد ولد آدم، وترقَّى في هذا القَسم من الفاضل إلى الأفضل، فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه .ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى وفيها:" جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من فاران ".

١- في القرطبي: قال مجاهد: مبارك، وقال ابن عباس: حسن، وقال قتادة: سينين هو المبارك الحسن.

فمجيئه من طور سيناء بعثته لموسى بن عمران عليه السلام، وبدأ به على حكم ترتيب الواقع، ثم ثني بنبوة المسيح عليه السلام، ثم ختمه بنبوة محمد ﷺ، وجعل نبوة موسى بمنزلة مجيء الصبح، ونبوة المسيح بعده بمنزلة طلوع الشمس وإشراقها، ونبوة محمد ﷺ بعدها بمنزلة استعلائها وظهورها للعالم. (البيان في أقسام القران ص٤٣-٤٥)

وقال-رحمه الله-: "فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ والمراد بهما: منبتهما وأرضها، وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام فهو مظهر نبوته، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوة محمد ﷺ". (هداية الحيارى لابن القيم صـ٩٣)

وقال-رحمه الله-: " وقد ذكر الله هذه الأماكن الثلاثة في سورة " التين"، فـ ﴿التِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: هو الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه، وأقسم بالبلد الأمين وهو مكة التي سكن إبراهيم وإسماعيل وأمه فيه، وهو فاران كما تقدم. ولما كان ما في التوراة خبرا عن ذلك أخبر به على الترتيب الزماني، فقدم الأسبق ثم الذي يليه، وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيمًا لشأنها وإظهارًا لقدرته وآياته وكتبه ورسله، فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة، فبدأ بالعالي، ثم انتقل إلى أعلى منه، ثم إلى أعلى منهما، فإن أشرف الكتب القرآن ثم التوراة، ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء. (المصدر السابق صـ ١١٤).

يا لعظم طور سيناء ووادية المقدس طوى:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه١١: ١٢)

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-: يقول تعالى ذِكْرُهُ: - فلما أتى النار موسى ناداه ربه: يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، فخلعها فألقاها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله - تعالى- بخلع نعليه، ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديًا مقدسًا.

وقال الحسن-رحمه الله-: إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قُدِّس مرتين.

وقال مجاهد-رحمه الله-: أُمِر أن يباشر بقدميه بركة الأرض. وطوى: رجح الطبري أنه اسم للوادي.

يا لَهُ من مكان، ويَا لَهَا من لحظات.

أُحْضِرَ موسى حظيرة القدس، فنسي الإنس، مما آنس من الأُنس، فلما دارت في دائرة دار الحب كئوس القرب، وسمع النداء وسط النادي بلا واسطة، وَسِيطَ[1] له من وسيط أقداح المُني في المناجاة بلا وسيط، طاب له شراب الوصال من أوطاب[2] الخطاب في أواني سماع الكلام، فناداه توق شوقه، فلله دره من وادٍ، وما أحلاها من لحظات ...

١ - سيط: مزج

٢ - أوطاب: جمع وطب: وهو السِّقاء

٦- بمصر أثر من أثار الجنة، ونهر من أنهارها، وهو نهر النيل:

يا لنعيم أهل مصر وحظهم الوافر حين يكون بمصرهم نهر من أنهار الجنة يجري.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" بينما أنا في الحطيم[١] مضطجعا، إذ أتاني آتٍ فَقَدَّ[٢] ما بين هذه إلى هذه[٣]، فاستخرج قلبي، ثم أُتِيتُ بطست من ذهب مملوءة إيمانًا، فَغُسِلَ قلبي بماء زمزم، ثم حُشِي، ثم أُعيد، ثم أُتِيتُ بدابَّة دون البغل وفوق الحمار أبيض، يُقال له: البراق ...ثم رُفعت[٤] إلى سدرة المنتهي، فإذا نيقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهي، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات ".**

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* **" سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل، كلٌ من أنهار الجنة ".**

- *وأخرج الإمام أحمد عن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* **" فُجِّرَتْ أربعة أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان ".**(الصحيحة:١١١) (صحيح الجامع:٤١٩٦) ***وفي رواية:*** **" أربعةُ أنهار من أنهار الجنة: سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات ".** (صحيح الجامع:٨٧٦)

قال الإمام النووي -رحمه الله- كما في "شرح مسلم ": ٢/٢٩٢": في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهي ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد.

وقال الشيخ الألباني-رحمه الله-: ولعل المراد من كون الأنهار من الجنة أن أصلها منها، كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا يتنافى الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض، فإن لم يكن هذا هو المعني أو ما يشبهه فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها والتسليم للمخبر عنها ﷺ.

وقال المناوي -رحمه الله- في: فيض القدير: ٤/١١٨": من أنهار الجنة، أي هي لعذوبة مائها وكثرة منافعها وهضمها وتضمها لمزيد البركة وتشرفها بورود الأنبياء وشربهم منها، كأنها من أنهار الجنة، أو أنه سمي الأنهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الأسامي ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا، أو أنها مسميات بتلك الأسماء، فوقع الاشتراك فيها، أو هو على ظاهره، ولها مادة من الجنة ". أهـ

والأخير هو الصواب، ولا يعدل عن الظاهر. فيا لطيب نهر هو من أنهار الجنة.. يا لطيب وكرم كان لتابوت موسى الكليم حاميًا وحافظًا إلى أن أوصل موسى الذي وشح بقلادة الحب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ إلى التي كَمُلَتْ من النساء آسية، فحمته بقولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾

١- الحطيم: في البيت الحرام، بين الركن والباب.
٢ - قَدَّ: شقَّ
٣- ما بين هذه إلى هذه: أي: من ثُغرة نحره إلى سُرَّته
٤ رفعت: أي: لأبصرها من بعيد

٧- أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بأهلها خيراً، وأثنى عليهم:

فقد أخرج الطبراني في الكبير عن أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: **" الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة، وأعوانًا في سبيل الله ".** (الصحيحة: ٣١١٣)

وأخرج أبو يعلى عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِيَّ وعمرو بن حُرَيثٍ عن رسول الله ﷺ قال: **" إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عَدُوِّكم بإذن الله ".** يعني قبط مصر.

(قال الهيثمي في مجمع الزوائد "٦٤/١٠" رواد أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح)

٨- جبل الطور بمصر هو حِرز عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في آخر الزمان:

– فقد أخرج الإمام مسلم في حديث طويل عن النواس بن سمعان رضي الله عنه: عن النبي ﷺ وفيه: **" ... ثم يأتي عيسى عليه السلام قومًا قد عصمهم الله منه[١]، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هم كذلك إذ أوحى الله–تعالى– إلى عيسى عليه السلام: إني أخرجت عبادًا لا يدان[٢] لأحد بقتالهم، فحرز[٣] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب[٤] ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماء! ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون قد قتلنا من في الأرض، هلم[٥] فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم[٦] إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة[٧] دمًا، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[٨] في رقابهم فيصبحون فرسى[٩] كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ".**

بوحي من الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام يأوي هو والعصبة المؤمنة إلى جبل الطور فيكون حرزًا لهم ومأمنًا ويأمنون من غائلة يأجوج ومأجوج ..فما أعظمه من جبل، ما أقدسه من مكان ...

١- أي عصمهم الله من المسيح الدجال.
٢ - لا يدان: لا طاقة
٣ - فحرز: احفظهم وحصنهم في جبل الطور
٤ - حدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض.
٥ - هلم: تعالوا.
٦ - بنشابهم: رماحهم.
٧ - مخضوبة: ملطخة.
٨ - النَّغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.
٩ - فرسى: قتلى.

٩- أم إسماعيل بن إبراهيم هاجر-عليها السلام-مصرية جعل اللّهُ خطواتها ركناً من أركان الحج:

هي أُمُّنَا يا معاشر العرب ... وقد ضربت أعظم مثال في التوكل على الله والثقة به وتفويض الأمر إليه، والسمع والطاعة المطلقة لزوجها وسيدها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام حين أتى بها إلى جبال فاران موضع مكة الآن، ومعها رضيعها إسماعيل، قالت له: يا إبراهيم إلى من تتركنا في هذا القفر ؟ ويشيح عنها الخليل بوجهه، تقول: يا إبراهيم، آلله أمرك بهذا؟ فيقول لها: نعم.

تقول: إذًا فلن يُضَيِّعَنَا.. كلمات يعجز أهل الأرض جميعًا عن قولها في مثل مكانها وظرفها ..ولكنها أم إسماعيل ...ويتركها خليل الرحمن عليه السلام، وينفذ ما معها من ماء وتمر، ويَتَلَبَّطُ رضيعها من أثر الجوع والعطش، وتسعى ما بين الصفا والمروة باحثة عن الماء فتسمع صوتًا فتقول: صهٍ أغث إن كان عندك غواث ..وهنا يبدو لها جبريل عليه السلام سائلًا لها: من أنتِ؟ تقول: أنا زوج إبراهيم وأم إسماعيل. فيقول لها: إلى من وكلك؟ فتقول: إلى الله. فيقول لها: وكلك إلى خير كافٍ، لا تخشي الضَّيعة، إن الله لا يضيع أهله.

-وأخرج الإمام مسلم عن حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **" ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا ".**

وفي رواية: **" فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة وصهرًا ".**

- وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم عن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا ".** (الصحيحة:١٣٧٤) (صحيح الجامع: ٦٩٨)

فأما الرحم: فإن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل –عليها السلام– من القبط (أي مصرية) من قرية نحو الفرما يقال لها: أم العرب. أما الصهر: فلأن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مصرية.

١٠-تقلد يوسف عليه السلام الوزارة في مصر.. ولقياه لأبيه يعقوب وإخوته-عليهم السلام:

لما ورد وارد السيارة، باعوا الصَّدفة، ولم يتلمَّحوا الدُّرَّة، واعجبًا لقمر قُومِرَ به، فلما وصل إلى مصر، تفرَّس فيه العزيز، فأجلسه على إعزاز ﴿أَكْرِمِي﴾، فشغف قلب سيدته وفرى ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾، فرد بـ ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ﴾، ﴿وَاسْتَبَقَا﴾، فانبسطت يد العدوان وامتدت ﴿وَقَدَّتْ﴾، فلما بانت حجته في إبان ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، أخذت تزكي[١] مصراة[٢] الإصرار بيمين يمين ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ﴾، فاختارت درة فهمه صدفة الحبس لجهل الناقد ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ وفي السجن دعا يوسف إلى التوحيد فصار السجن كأنه روضة، وبقي الدرس منارة للسالكين الصابرين، والدعاة الربانيين.

فلما آن أوان الفرج، خرج إلى الملك. هذا ويعقوب مفترش فراش الأسى على حزن[٣] الحزن، لا يستلذ نومًا ولا سِنَةً[٤]، حتى نحل البدن، وذهب البصر.

وخرج وإخوته من أرض كنعان لطلب المسيرة، ودخلوا من قفر الفقر، واستلقوا في ساحة الضر، ينادون بلسان الفقر والذل: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾، فلما عرفوه اعترفوا، فمُحي ما اقترفوا، بكف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ فهبت نسائم الفرج، فنادى مدنف الوجد: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾. فلما كشف يعقوب قدام الوجد بكف: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾ أحدقت به عواذل ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾ تالله لو وجدوا ما وجد، ما أنكروا ما عرف.

فلله هذه الأرض الطيبة التي نَوَّرَتْ سُجُونَهَا دعوةُ التوحيد على يد يوسف عليه السلام وتولى الوزارة فيها " **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** ".

(رواه البخاري عن حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-)

أرضٌ إذا ما جئْتَها مُتقلِّبًا ... في محْنة رَدَّتْكَ شَهْمًا سَيِّدًا

وإذا دَهَاك الهَمُّ قَبْلَ دُخُولِهَا ... فَدَخَلْتها صَافَحْتَ سَعْدًا سَرْمَدًا

قل للأخيار المكرمين، الوافدين إليها مغرمين، والقادمين عليها مُسَلِّمين: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

في مصر تعانقت القلوب، وتصافح المُحِبُّ والمحبوب، والتقى يوسف بيعقوب، فطفق الزمان ليوسف منشدًا، وغَنَّى الزمان له مغرِّدًا، ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾

١- تزكي: تربي
٢- مصراة: الشاة المحفلة
٣- حزن: خلاف السهل
٤- سِنَة: أوائل النعاس

١١- على أرضها المباركة نصر اللهُ كليمه موسى-عليه السلام-على فرعون وهامان:

على أرض مصر سُحِقَ الطغيان، ومُزِّق جنود الشيطان، ودُمِّر فرعون وهامان، وذلت أئمة الزور والبهتان، وارتفعت ملة الرحمن، ونصر الله كليمه موسى بن عمران-عليه السلام-

وكم في قصة كليم الرحمن موسى بن عمران مع رأس الطغيان فرعون ووزيره هامان من العبر والآيات منذ حملت مياه النيل المباركة تابوت موسى يتهادى على صفحتها وثبجها حتى يصل إلى تحت قصر فرعون تحوطه عناية الله ﷻ ويحميه غلاف من المحبة يُغلِّف قلب آسية. انظر كم قتل فرعون من أجل موسى، والقدر يقول له: لا نربيه إلا في حجرك.. وفي كل موقف من المواقف آيات وعبر تفني فيها المجلدات. وشاء أن تكون أرض مصر مسرحًا لهذه القصة. ليعلوا في نهايتها الإيمان على الكفر والطغيان.

١٢- وعلى أرضها وتحت سمائها عاشت آسية زوج فرعون لتسطر أعظم ثبات على العقيدة:

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١)

امرأة عظيمة كاملة، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتًا في الجنة طلب الجار قبل الدار، ﴿عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾..

وَتَبَرَّأَتْ من صلتها بفرعون، وتبرأت من عمله، مخافة أن يلحقها من عمله شيء، وهي ألصق الناس به، وتبرأت من قوم فرعون، وهي تعيش بينهم.

امرأة سامقة، ومَثَلٌ للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صورة، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ، في قصر فرعون أمتع مكان، تجد فيه امرأة ما تشتهي. ولكنها اشتعلت على هذا بالإيمان، ولم تُعْرِضْ عن هذا العَرَض فحسب، بل اعتبرته شرًا ودنسًا وبلاء تستعيذ بالله منه، وتَتَفَلَّتُ من عقابيله، وتطلب النجاة منه، وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية، وهذا فضل آخر عظيم، فالمرأة أشد شعورًا بوطأة المجتمع وتصوراته، ولكن هذه المرأة وحدها في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك وضغط الحاشية، والمقام الملوكي، في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها في خضم هذا الكفر الطاغي!!

وهي نموذج عال في التجرُّد لله من كل هذه المؤثرات، وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف، ومن ثَمَّ استحقت هذه الإشادة في كتاب الله الخالد، الذي تتردد كلماته في جنبات الكون، وهي تتنزل من الملأ الأعلى (انظر الظلال: ٣٦٢٢/٦)

أخرج البخاري من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ".

-وأخرج الترمذي عن حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "حسبك من نساء العالمين، بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ".

١٣- وعلى أرض مصر سطر السحرة أروع الأمثلة في إعلان حرية القلب المؤمن من كل قيود الأرض.. وانتصار العقيدة على الحياة:

قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤٦-٥١)

إنها لكلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور، وملأ اليقين قلبها، كلمة القلب الذي وجد الله فلم يعد يحفل ما يفقد بعد هذا الوجدان، القلب الذي اتصل بالله فذاق طعم العزة فلم يعد يحفل بالطغيان، القلب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر الدنيا قليل ولا كثير ...لا ضَيْرَ في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ...لا ضَيْرَ في التعذيب والتصليب، لا ضَيْرَ في الموت والاستشهاد.

﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ ...وليكن في هذه الأرض ما يكون.

ياالله!! يا لروعة الإيمان!! إذ يشرق في الضمائر، وإذ يفيض على الأرواح، وإذ يسكب الطمأنينة في النفوس، وإذ يرتفع سلالة الطين إلى أعلى عليين، وإذ يملأ القلوب بالغني والذخر والوفر، فإذا كل ما في الأرض تافه حقير زهيد.. يا لجلال المشهد ويا للروعة الغامرة!!

وقال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾

(الأعراف: ١٢٠- ١٢٢)

إنها صولة الحق واليقين في الضمائر، ونور الحق في المشاعر، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين. تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين. ولكن الطواغيت المتجبرين لا يدركون كيف يتسرب النور إلى قلوب البشر، ولا كيف تمازجها بشاشة الإيمان، ولا كيف تلمسها حرارة اليقين، فما كان من فرعون إلا أن قال: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن تنتفض قلوبهم للحق، أو يستأذنوه في أن ترتعش وجداناتهم، أو يستأذنوه في أن تشرق أرواحهم!! أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت في الأعماق، أو يطمسوا الإيمان وهو يترقرق من

الأغوار، أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين!! ولكنه الطاغوت جاهل غبي مطموس، وهو في الوقت ذاته متعجرف متكبر مغرور.

ولكن هيهات، فقد جاء اليقين قلوب السحرة، وتفتحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة، لا تبالي أن تنظر بعدها إلى الأرض وما بها من عرض زائل، ولا إلى حياة الأرض، وما فيها من متاع تَافِهٍ.

إن النفس البشرية حين تَشِفُّ وَتَرِقُّ باليقين، وحين تَسْتَطِنُ فيها حقيقة الإيمان، تستعلي على قوى الأرض، وتستهين ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم...إنها لا تقف لتسأل ماذا ستأخذ وماذا ستدع؟ ماذا ستقبض وماذا ستدفع؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب؟ وماذا ستلقى في الطريق من صعاب وأشواك وتضحيات؟ لأن الأفق المشرق الوضئ أمامها هناك، فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق.

إنها لمسة اليقين في القلوب التي كانت منذ لحظة تحنو لفرعون، وتعد القربى منه مغنمًا يتسابق إليه المتسابقون، فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة، وتسترخص ملكه وزخرفه وجاهه وسلطانه ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، فهي علينا أعز وأغلى، وهو– جل شأنه– أجل وأعلى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ٧٢: ٧٣)

خير قسمه وجوار وأبقي مغنمًا وجزاءً. ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٥: ١٢٦)

إنه اليقين الذي لا يفزع ولا يتزعزع، كما أنه لا يخضع ولا يجذع، اليقين الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره.

وهزأت القلوب الموقنة بتهديد الطغيان الجائر، وواجهته بكلمة الإيمان القوية، وباستعلاء الإيمان الواثق، وبتجذير الإيمان الناصع، وبرجاء الإيمان العميق.

ويقف الطغيان عاجزًا أمام اليقين، وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله؟! وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت القلوب بالله؟!وماذا يملك السلطان إذا رغبت القلوب عما يملك السلطان؟!

ومضى هذا المشهد في تاريخ البشرية إعلانًا لحرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض، وسلطان الأرض، وعلى الطمع في المثوبة والخوف من السلطان.

وما يملك القلب البشري أن يجهر بهذا الإعلان القوي إلا في ظلال اليقين.

إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية، بانتصار العقيدة على الحياة، وانتصار العزيمة على الألم، وانتصار الإنسان على الشيطان.

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية، فما الحرية إلا الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين وطغيان الطغاة، ومتى عجزت القلوب المادية عن استذلال القلوب، فقد ولدت الحرية الحقيقية في هذه القلوب.

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية، فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسال فرعون الأجر على الفوز، وتتمنى القرب من السلطان، هي ذاتها التي تستعلي على فرعون، وتستهين بالتهديد والوعيد، وتقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب، وما تغير في حياتها شيء، إنما وقع الحق واليقين في القلوب، واستقر وثبت، وتسمع الضمير أصداء الهداية، وتلقت البصيرة إشراقات النور، فرفعت الإنسان من عالم الواقع إلا الآفاق التي لم يكن يطمح إليها الخيال.

ويذهب التهديد، ويتلاشى الوعيد، ويمضي الإيمان في طريقه، لا يتلفت ولا يتردد ولا يحيد، ويقدم أهل الإيمان على الموت مستهينين، ليقينهم بأنهم هم المؤمنون برب العالمين. وما كان أن يمضي المؤمنون في طريق الدعوة إلى رب العالمين على ما ينتظرهم من التعذيب والتنكيل إلا بمثل هذا اليقين بِشِقَّيْهِ: أنهم هم المؤمنون وأن أعداءهم هم الكافرون، وأنهم إنما يحاربون على الدين، ولا ينقمون منهم إلا هذا الدين.

فلله ما أروعه من مشهد نعجز عن القول فيه!! وتعجز البشرية! ولا يصوره بصدق إلا القران الكريم!!

١٤- وفي مصر كانت الوفادة الكريمة لعيسى ابن مريم وأمه-عليهما السلام-:

قال الله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون:٥٠)

إن مِصْرًا روايـــة الدهـــرِ فاقرأ ... عِبرَة الدهـــر في الكتـــاب العتيق

مَلْعَـــبٌ مَثَّل القـــضاء عليـــه ... في صِبا الـدَّهر [١] آيـــة (الصِّدِّيق) [٢]

وامِّحَاء [٣] (الكليم) [٤] عند التجلِّي ... والتجاء (البتولِ) [٥] في وقـت ضِيقِ

ورحم الله القائل:

وصلاة مـريمَ فـوق زرعك لم يَزَلْ ... يـــزكو لـــذكراها النبـات وَيَسْمُقُ

وخُطى المسيح عليك روحًا طاهِرًا ... بـــركـاتُ ربـــك والنعيـــم الغَيْدَقُ

١- صبا الدهر: شبابه
٢- الصديق: يوسف -عليه السلام-.
٣- امحاء: صعق
٤- الكليم موسى-عليه السلام-
٥- البتول: هي مريم أم عيسى -عليه السلام-.

١٥- ومن نسائها كانت "مارية القبطية- رضي الله عنها- " أم ولد النبي-صلى الله عليه وسلم- (إبراهيم- رضي الله عنه-)

فالمصريون هم أخوال إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وأَنْعِمْ بها من صلة ونسب.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لو عاش إبراهيم لكان صدِّيقًا نبيًّا..."**.

(صحيح الجامع: ٥٢٧٢)

١٦- وفتحت مصر، ودخلت على يد رجل من أهل الجنة هو الصحابي عمرو بن العاص-رضي الله عنه-:

وقد رَحَّبَ بعمرو بن العاص العوامُّ والخواصُّ، وَفَرَّ الظلم عند قدومه وغَاصَ، وقد أثنى عليه النبي ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص ". (الصحيحة: ١٥٥) (صحيح الجامع: ٩٧١).

قال الشيخ الألباني في" الصحيحة ١/٧٩": "وفي الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص ﷺ، إذ شهد له النبي بأنه مؤمن، فإن هذا يستلزم الشهادة له بالجنة، لقوله ﷺ في الحديث المشهور: **" لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة "**. (رواه البخاري ومسلم).

-وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ابنا العاص مؤمنان"**.

قال الإمام أحمد: يعني هشامًا وعَمْرًا

-وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن عمرو بن العاص من صالحي قريش ". (صحيح الجامع: ٤٠٩٥)

فهذا السيد المؤمن الصالح أحد قادة النبي ﷺ هو الذي فتحت على يده مصر، وهوسهم من سهام المسلمين، كان الفاروق عمر بعد الله الرامي والجامع لها، فرضي الله عن عمرو بن العاص الذي يحتل أنصع صفحات الفتح الإسلامي في تاريخ العرب والمسلمين بفتحه لفلسطين، ومصر، وليبيا، وهي بلاد لم يفتح غيره من قادة العرب أوسع منها وأكثر خيرًا.

هذه الأرض التي قد زُيِّنَتْ ... بنجوم المجد تحبو في سَمَاهَا

هاهنا مَرَّ الزبيرُ وهاهنا ... ضَمَّخَ ابن العاص بالطيب ثراها

١٧- كان للزبير بن العوام ﷺ حواري الرسول ﷺ أعظم الأثر في فتح مصر:

الزبير وما أدراك من الزبير؟ إنه حواري[١] رسول الله ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن لكل نبي حواريًا، وإن حواري الزبير ".

وقد جمع له رسول الله ﷺ بين أبوية:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ﷺ قال: "جمع لي رسول الله ﷺ أبوية يوم أُحُد ".

وقال النبي ﷺ: " الزبير ابن عمتي، وحواري من أمتي". (الصحيحة: ١٨٧٧) (صحيح الجامع: ٣٥٨٣)

والزبير هو أول من سل سيفه في الإسلام، وهو قائد جيش المدد لفتح مصر، وفاتح حصن بابليون، والساعد الأيمن لفتح مصر:

لما أشفق عمر بن الخطاب من قلة عدد قوات عمرو المرسلة لفتح مصر، أرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفًا، (فتوح البلدان للبلاذري صـ ٢١٤) (فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ٩٢)

وقيل: أرسل عمرﷺ أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد. وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال.

(انظر فتوح مصر والمغرب صـ٦١، صـ٩٢) (معجم البلدان للبلاذري:٦/٣٧٦)

والزبير بن العوام ﷺ فاتح حصن بابليون:

وحين قدم الزبير على عمرو وجده مُحَاصِرًا حصن(بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرَّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، **فقيل للزبير:**

" إن بها الطاعون"، فقال:" إنما جئنا للطعن والطاعون".

(طبقات ابن سعد: ٣/١٠٧) (فتوح البلدان للبلاذري صـ٢١٥)

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ﷺ، فقال الزبيرﷺ: **"إني أَهَبُ نفسي لله، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين"، فوضع سُلَّمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية الحمَّام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو، خوفا من أن ينكسر، كَبَّرَ الزبير تكبيرة فأجابه المسلون من خارج، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا الحصن، فهربوا وعمد الزبير بأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر**

(فتوح مصر والمغرب ص٩٤) (معجم البلدان: ٦/٣٧٨)

في معركة (بابليون) الحاسمة التي فتحت للعرب المسلمين أبواب مصر على مصراعيها.

(قادة فتح الشام ومصر، لمحمود شيت خطاب ص ٢٠٩ –٢٢٧)

١- الحواري: الناصر كما قال سفيان

١٨- وفتحت الإسكندرية على يد الصحابي النقيب العقبي البدري عبادة بن الصامت-رضي اللّه عنه-:

كان عبادة بن الصامت ﷺ أمير ربع العدد لفتح مصر (الإصابة: ٥٠٦/٣) (حسن المحاضرة للسيوطي: ٢١١/١)

قال ابن عبد الحكم-رحمه الله-: " لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية، استلقى على ظهره، ثم جلس فقال: إني فكرتُ في هذا الأمر، فإنه لا يصلح آخره إلَّا من صلح أوَّله- يريد الأنصار-، فدعا عبادة بن الصامت ﷺ ، فعقد له، ففتح الله على يده الإسكندرية من يومهم ذلك، وكان فتحها سنة ٢٥ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطي: ١٢٠/١)

١٩- وشَرُفَت مصر بقدوم الصحابة الكرام، والفاتحين العظام:

ومن هؤلاء الصحابة العظام: عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ والسابق إلى الإسلام. فاتح عين شمس.

ومنهم الصحابي الشهيد خارجة بن حذافة العدوي القرشي فاتح الفيوم وأخميم والصعيد، وهو يعدل ألف فارس.

وعمير بن وهب الجمحي فاتح تنيس، ودمياط، وتونة، ودميرة، وشطا، ودقهلة، وبنا، وبوصير من شمال مصر.

ومنهم عقبة بن عامر الجهني فاتح أسفل أرض مصر "جنوبي مصر".

ودخلها في الفتح من الصحابة: المقداد بن الأسود، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعمرو بن علقمة، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومحمد بن مَسْلَمة، وأبو رافع، ومُسْلَمة بن مُخَلَّد، وأبو أيوب، ومعاوية بن خُديج، وعمار بن ياسر، وقد ألف الإمام محمد بن الربيع الجيزي في ذلك كتابًا ذكر فيه مئة وَنَيَّفًا وأربعين صحابيًا.

٢٠- ومن فضائل مصر: أنه خرج منها علماء ربانيين تربوا على أرضها، وشربوا من نيلها:

أ- عالم مصر وفقيهها: الليث بن سعد-رحمه الله-:

هو فقيه الديار المصرية، أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن مولى بني فهم، ولد بقرقِشندة على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط سنة أربع وتسعين هـ.

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا غيره، ما أصح حديثه! وجعل يثني عليه.

وقال أيضًا: - الليث كثير العلم صحيح الحديث.

وقال الشافعي -رحمه الله-: الليث أنفع للأثر من مالك، وقال: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وفي رواية عن الشافعي: " ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ".

وقال يحيى بن بكير -رحمه الله-: الليث أفقه من مالك، ولكن كانت الخطوة لمالك.

وقال ابن حبَّان -رحمه الله-: كان من سادات أهل زمانه فقهًا وعلمًا وحفظًا وفضلًا وكرمًا.

وقال النووي -رحمه الله- في تهذيبه: " أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث ".

(انظر الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية، لابن حجر صـ٢٥/٢٦)

وعن مروءته وكرمه قال قتيبة بن سعيد: قفلنا مع الليث من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن، سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله، وسفينة فيها أضيافه".

وقال عبد الله بن صالح -رحمه الله-: "صحبت الليث بن سعد عشرين سنة، فكان لا يتغدَّى وحده، ولا يتعشى وحده، إلا مع الناس ". (المصدر السابق صـ٢٢)

وقال أبو صالح -رحمه الله- كاتب الليث: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا -أي احتجب، فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا. قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا، فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد. قال: تُشبهوني برجل كتبتُ إليه في قليل عُصْفُر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا، وبعنا الفضل بألف دينار. (المصدر السابق ص ٢١-٢٢)

وقال قتيبة بن سعيد-رحمه الله-: " كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلاث مئة مسكين ".

(المصدر السابق صـ٢٣)

ووصلَ منصورَ بن عَمَّارٍ الواعظ بألف دينار، وقال: صُن هذا الكلام عن أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحدًا من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين، ولك عليَّ في كل سنة مثلها، وكان يقول له:" يا أبا السريِّ، لا تعلم به ابني فتهون عليه". (المصدر السابق ص٢٣-٢٨)

وقال محمد بن رمح: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله عليه درهمًا قط بزكاة.

(المصدر السابق ص٢٣)

وكان الأمراء بمصر لا يقطعون أمرًا دون الليث، وكانوا إذا حادوا عن السنّة أو جاروا وظلموا هم والقضاة يكتب بعزلهم إلى أمير المؤمنين، فيعزلهم.

قال الليث –رحمه الله–: لما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث، ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا إجراء النيل، وصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت العين. قال: صدقت يا أبا الحارث ". (المصدر السابق صـ٢٩)

فرحم الله شيخ الإسلام الليث بن سعد الفَهْمي.

ب - إمام الديار المصرية شيخ الإسلام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي:

قال ابن كثير–رحمه الله–: عبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية، "وكان الإمام مالك بن أنس يكتب إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر، وما كتبها مالك إلى غيره".

قال سحنون –رحمه الله–: كان ابن وهب قد قسم دهره ثلاثًا: ثلث في الرباط، وثلث في العلم يعلم الناس، وثلث للحج.

وقد حج –رحمه الله– ستا وثلاثين حجة، وكان–رحمه الله– يسمي "ديوان العلم".

وقال الحارث بن مسكين–رحمه الله–: شهدت ابن عيينة يقول: هذا عبد الله بن وهب شيخ أهل مصر. وحدث–رحمه الله– بمئة ألف حديث.

قال ابن عدي–رحمه الله–: وابن وهب من أجله الناس وثقاتهم، وحديث الحجاز ومصر يدور على رواية ابن وهب.

وقال خالد بن خراش–رحمه الله–: قُرِئَ على ابن وهب كتاب أهوال يوم القيامة– يعني: من تصنيفه، فخر مغشيًا عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام. **قال:** فنري– والله أعلم– أنه انصدع قلبه، فمات بمصر سنة ١٩٧هـ.

جـ - إمام المالكية وتلميذ مالك الإمام ابن القاسم-رحمه الله-:

هو الإمام عبد الرحمن بن القاسم العُتقي المصري تلميذ مالك المُبرَّز، وهذه قصته وهي عجب العجاب.

قال ابن القاسم–رحمه الله–: "أَنَخْتُ بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئًا، قال: فبينما أنا عنده، إذ أقبل حَاجُّ مصر، فإذا شاب ملثم دخل علينا، فسلم على مالك، فقال: أفيكم ابن القاسم؟ فأُشير إليَّ، فأقبل يقبل عيني، ووجدت منه ريحًا طيبة، فإذا هي رائحة الولد، وإذا هو ابني، وكان ابن القاسم ترك أمَّه حاملًا به، وكانت ابنة عمه، وقد خَيَّرَها عند سفره، لطول إقامته، فاختارت البقاء ".

(ترتيب المدارك: ٣/٢٥٠)

د - نـزيل الديار المصرية شمسها وقمرها إمام الدنيا الإمام الشافعي-رحمه الله-:

هو الإمام ناصر السُّنَّة محمد بن إدريس الشافعي المطلبي الذي **قال فيه الإمام أحمد:**" كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل تري لهذين من خلف، أو عنهما من عِوَض".

وقال عنه الإمام أحمد أيضًا:" ما أحد مَسَّ محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عُنُقِهِ مِنَّة".

وقال: لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث".

وقال: " كان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي ".

وقال الحميدي –رحمه الله-: "سيد علماء زمانه الشافعي ".

وقال إسحاق بن راهوية –رحمه الله-: "الشافعي إمام العلماء ".

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام–رحمه الله-: "ما رأيت أحدًا أعقل، ولا أروع، ولا أفصح، ولا أنبل رأيًا من الشافعي ".

وقال صالح بن أحمد بن حنبل –رحمه الله-: مشي أبي مع بغلة الشافعي، فبعث إليه يحيي بن معين– يعني: يعاتبه– فقال أحمد: لو مشيت من الجانب الآخر كان أنفع لك. وقال: إن أردت الفقه فالزم ذنب البغلة.

وقال يونس بن عبد الأعلى –رحمه الله-: ما رأيت أحدًا أعقل من الشافعي، لو جمعت أمة فجعلت في عقل الشافعي لوسعهم عقله".

وقال:" كان الشافعي إذا ذكر التفسير كأنه شهد التنزيل "

وقال:" كانت ألفاظ الشافعي كأنها سُكَّر".

وقال:" كنا إذا قعدنا حوله لا ندري كيف يتكلم كأنه سحر ".

وقال أحمد بن سيّار المروزي وكان يقاس بابن المبارك:" لولا الشافعي لدَرَسَ الإسلام".

وكان إبراهيم بن إسحاق الحربي–رحمه الله–يقول:" قال أستاذ الأستاذين، فيقال له: من هو؟ فيقول: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟!".

وقال أبو حاتم الرازي –رحمه الله-:" لولاه لكان أصحاب الحديث في عمى ".

قال الإمام النووي– رحمه الله– في كتابه "التهذيب": "كان الشافعي –رحمه الله– من أنواع المحاسن بالمحل الأعلى، والمقام الأسنى، لما جمعه الله له من الخيرات، ووفقه له من جميل الصفات، وسهله عليه من أنواع الكرامات، فمن ذلك شرف النسب لاجتماعه مع رسول الله ﷺ في جد جده عبد مناف، ومن ذلك شرف المولد والمنشاء، فإنه وُلِدَ بالأرض المقدسة[1] ونشأ بمكة، ومن ذلك أنه أخذ عن الأئمة المبرزين، وناظر الحُذَّق المتقنين، ووجد الكتب في العلوم قد مُهِّدت، والأحكام قد قرِّرَتْ، فانتخب وتخيَّر، وحقَّق وحبَّر، ولَخَّصَ طريقةً جامعةً للنقل والنظر، ولم يقتصر كما اقتصر غيره، مع ما رزق من كمال الفهم، وعلو الهمة، والبراعة في جميع الفنون، والمهارة في لغة العرب، وإتقان معرفة كتاب الله– تعالى– وسنة رسوله، ورد بعض ذلك إلى

١- ولد بغزة من أرض فلسطين

بعض، حتى أذعن لفضله المخالف والمفارق، واعترف بتقدمه المقارن والموافق، فبارك الله –تعالى– في علومه الباهرة، ومحاسنه المتظاهرة، إلى أن انتشرت تصانيفه وتلاميذه، وكثر الآخذون لطريقه بعده، حتى ملأ علمه طباق الأرض كما بشر به الصادق المصدوق . قال محمد بن الحسن: "إن تكلم أصحاب الحديث يومًا فبلسان الشافعي ".وقال أحمد بن حنبل: "ما أحد من أهل الحديث مس محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبته مِنَّة ".

وقال الزعفراني–رحمه الله–: " كان أصحاب الحديث رقودًا حتى أيقظهم الشافعي".

(توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر ص٥٥)

استقر المقام بالشافعي بمصر، وكان الجديد من أقواله ومذاهبه بها، وابتكر كتبًا بمصر– كما يقول النووي– لم يسبق إليها، منها أصول الفقه، وكتاب القسامة، وكتاب الجزية، وكتاب قتال أهل البغي، وكتابه "الأم"، ونشر أصوله وأراءه وفقهه، واستنبط الأحكام، وأمه العلماء فكتبوا عنه وتحولوا إلى اجتهاده، وساد مذهبه بمصر.

وقال محمد بن مسلم بن وارة الرازي: قلت لأحمد بن حنبل: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين أحب إليك؟ أو التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك الكتب. (آداب الشافعي ومناقبه للبيهقي صـ٦٠).

رباط الشافعي وإخلاصه:

كان للشافعي نصيب من الرباط، فقد قال تلميذه الربيع بن سليمان:" خرجت مع الشافعي من الفسطاط إلى الإسكندرية مرابطًا، فكان يصلي الصلوات الخمس في المسجد الجامع، ثم يصير إلى المحرس، فيستقبل البحر بوجهه، وهو جالس يقرأ القرآن، حتى أحصيت عليه في يوم وليلة ستين ختمة في شهر رمضان.

(توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر صـ ١٧٩)

ولعظيم إخلاصه قال الشافعي–رحمه الله–: وددت لو أن الخلق تعلموا العلم[1]، ولا ينسب إليّ منه شيء. وقال: "ما ناظرتُ أحدًا قط إلا أحببتُ أن يُوَفَّقَ أو يُسَدَّدَ أو يُعَانَ، ويكون له رعاية من الله وحفظ، وما ناظرتُ أحدًا إلا ولم أبال بينَّ اللهُ الحق على لسانه ولساني. (توالي التأسيس ص١٥٠)

وقال: –رحمه الله– في حبه لمصر:

أراني أرَى نفسي تتوقُ إلى مصر ومن دونها أرضُ المفاوِز والقفرِ

فوالله ما أدري أللـــفوز والغـــني أُســاق إليها أم أُســاق إلى قبري

(المصدر السابق ص ١٧٢)

١- أي علمه الموجود في كتبه

المصريون أنجب تلامذة الشافعي:

والمصريون أنجب تلامذة الشافعي بعد تلميذه الإمام أحمد بن حنبل، وأنجب تلامذته:

البويطي-رحمه الله-:

خلفيته على حلقته من بعده أبو يعقوب يوسف بن يحيي البويطي، من بويط بصعيد مصر، وهو أكبر أصحاب الشافعي المصريين، وكان إمامًا جليلًا، عابدًا زاهدًا، فقيهًا عظيمًا، مناظرًا جليلًا، من جبال العلم والدين.

قال أبو عاصم-رحمه الله-: كان الشافعي ﷺ يعتمد البويطي في الفتيا، واستخلفه على أصحابه بعد موته، فتخرج على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق.

قال الربيع-رحمه الله-: كان أبو يعقوب من الشافعي بمكان مكين، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة، فيقول: "سَل أبا يعقوب"، فإذا أجاب أخبره، فيقول: هو كما قال. وله من الكتب "المختصر" اختصره من كلام الشافعي. قال أبو عاصم: هو في غاية الحسن.

كتب فيه ابن أبي دؤاد القاضي المعتزلي إلى وإلي مصر أن يمتحنه-أي: بالقول بخلق القرآن -، فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: فيما بيني وبينك -أي: قل بالقول بخلق القرآن فيما بيني وبينك سرًا – قال: إنه يقتدي بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى، وأمر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد، ومات في سجن بغداد في القيد والغل سنة إحدى وثلاثين ومئتين (الإمام الشافعي لعبد الغني الدقر صـ١١٦)

وأما المزني-رحمه الله-:

فهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيي، ناصر المذهب وبدر سمائه، وكان جبل علم، مناظرًا محجاجا، قال الشافعي عنه:" لو ناظره الشيطان لغلبه "، وكان زاهدًا ورِعا صوامًا قوامًا، متقللًا من الدنيا، وقال عنه الشافعي:" المزني ناصر مذهبي"، أخذ عن المزني خلائق من علماء خراسان والعراق والشام.

وأما الربيع-رحمه الله-:

فهو أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي، مولاهم المؤذن، وقد أجمع أصحاب الشافعي -رحمه الله- على أن أوثق من روى كتب الشافعي صاحبه وخادمه الربيع، حتى لو تعارض هو وأبو إبراهيم المزني في رواية، لقدم الأصحاب روايته مع علو قدر المزني، ولهذه الثقة التي نالها، كانت الرحلة إلى كتب الشافعي إليه من الآفاق.

(انظر طبقات الشافعية للسبكي: ١٣٢/٢)

قال محمد بن أحمد بن سفيان الطرائفي البغدادي: حضرت الربيع بن سليمان يومًا، وقد حَطَّ على باب داره تسع مئة راحلة في سماع كتب الشافعي-رحمه الله- ومضي عنه. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٤٨/١)

ومن أعجب ما قرأت أن إسحاق بن راهوية تزوج بامرأة رجل كانت عنده كتب الشافعي مات، لم يتزوج بها إلا للكتب). (سير أعلام النبلاء: ٧/١٠) (حلية الأولياء: ١٠٢/٩)

قال أبو زرعة-رحمه الله-: "ما أعلم أحدًا أعظم مِنَّة على أهل الإسلام من الشافعي ".

فمن يك عِلْمُ الشافعي إمامه ... فمرتعه في ساحة العلم واسعُ

فأحكامه فينا بـــدورٌ زواهـر ... وآثـــاره فينـا نـــجوم طـــوالعُ

ومن الشافعية الذين سكنوا مصر سلطان العلماء وبائع الأمراء العز بن عبد السلام:

ومواقفه بمصر أحلى من الشهد وأعظم من الجبال الرواسي: كان – رحمه الله– سيفًا ذا حَدَّيْن: حدٌّ سلَّه على ترف الملوك ولهوهم ولعبهم ومنكرهم، وآخر على بدع العوام، بجرأة لا نظير لها، ولوكان وراء ذلك السجن أو الموت، فيمضي الله كلمته في الملك والمملوك، وترجم ذلك قولًا وعملًا

(صفات مطوية عن حياة سلطان العلماء لسليم الهلالي ص٦٥)

وكان–رحمه الله– يقول: طوبى لمن تولى شيئًا من أمور المسلمين، فأعان على إماتة البدع وإحياء السنن.

وقد أبطل–رحمه الله– بدعًا كثيرة منها، صلاة الرغائب، وصلاة ليلة النصف من شعبان.

وكان –رحمه الله– يقول في نصرة الحق:" ينبغي لكل عالم إذا أُذِلَّ الحق وأُخْمِلَ الصواب أن يبذل جهده في نصرهما، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول أولى منهما، وإن عز الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلهما، وأن يكتفي باليسير من رشاس غيرهما ". (طبقات الشافعية: ٢٤٥/٨)

أمراء للبيع

حكى السيوطي والسبكي– رحمها الله– أنه " لما تولي الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، واضطرم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعًا ولا شراء ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم لذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستثار غضبًا، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا وينادي عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجًا من القاهرة قاصدًا نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يؤبه إليه يتخلف، لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه، فرجع، واتفقوا معهم على أنه ينادي على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يُفِدْ، فانزعج النائب، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا، ونحن ملوك الأرض؟! والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فأخبر والده وشرح له الحال فما اكترث لذلك، وقال: يا ولدي، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكي، وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال يا سيدي، إيش تعمل؟ قال: أنادي عليكم، وأبيعكم . قال ففيم تصرف ثمننا ؟ قال: في مصالح المسلمين . قال: ومن يقبضه؟ قال: أنا، فتمّ له ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا، وغالى في ثمنهم، ولم يبعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع بمثله عن أحد– رحمه الله تعالى–.

(حسن المحاضرة للسيوطي: ١٦٢/٢) (طبقات الشافعية للسبكي: ٢١٦/٨)

شيخ الديار المصرية ابن دقيق العيد الشافعي يقبل السلطان يده:

نشأ بقوص على أزكى قدم العفاف والمواظبة على الاشتغال، تَفَقَّهَ بقوص على والده المالكي المذهب، ثم تفقه على شيخ الإسلام العز بن عبد السلام، ولذلك يقول فيه الإمام العلامة ابن القَوْبَع:

وأتقن والشبابُ له لباسٌ أدلة مالك والشافعي

أما دأبه في الليل علمًا وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة، فكررها إلى مطلع الفجر، استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ، فوصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١) فما زال يكررها إلى طلوع الفجر.

(طبقات الشافعية: ٢٠٧/٩)

قال الحافظ ابن كثير–رحمه الله–: " انتهت إليه رياسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة، ودرس في أماكن كثيرة، ثم وَلِيَ قضاء الديار المصرية ومشيخة دار الحديث الكاملية ".

(البداية والنهاية لابن كثير: ٢٩/١٤)

هذا الإمام العظيم الأَمَّارُ بالمعروف الذي كانت تهابه الملوك، وكان سلطان مصر إذا راه من على البعد قام له، فإذا وصل عنده قبل السلطان يده، فيقول له شيخ الإسلام: هذا خير لك، هذا ينفعك.

(طبقات الشافعية: ٢١٢/٩)

هذا هو العالم الرباني ...أما علماء السوء، فأصدق وصف للفرد منهم قول الشاعر:

يُرَمْرِمُ من فُتَاتِ الكفر قوتًا ويشرب من كُئُوسِهِم الثُّمَاله

يُقَبِّل راحة الطاغوت حينًا ويلثم دونمـــا خجلٍ نعالـــه

ومن أئمة الحنفية الإمام الطحاوي فخر الديار المصرية:

الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري، نسبة إلى طحا قرية من قرى صعيد مصر، وخاله هو الإمام المزني. "

قال عنه الذهبي–رحمه الله–: "الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها...ثم قال: ومن نظر في تواليف هذا الإمام، علم محله من العلم وسعة معارفه".

وقال ابن كثير–رحمه الله– في "البداية والنهاية: ١١/١٨٦": " الفقيه الحنفي، صاحب التصانيف المفيدة، والفوائد الغزيرة، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة ".

وهو إمام جليل القدر، مشهور في الآفاق، ذكره الجميل مملوء في بطون الأوراق، ولو لم يكن له إلا (شرح مشكل الآثار) لكفاه، فكيف وله غيره العشرات من المصنفات، ومنها: العقيدة الطحاوية، وقد حظيت بشهرة واسعة ونالت قبول أهل السنة وإعجابهم على اختلاف مذاهبهم، فتناولوها بالشرح والبيان، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

قاضي قضاة الديار المصرية بكار بن قتيبة-رحمه الله-:

قال الذهبي-رحمه الله-: كان عظيم الحرمة، وافر الجلالة، من العلماء العاملين.

جَمَعَ أحمد بن طولون العلماء والأعيان، وقال: قد نكث الموفَّق أبو أحمد – ولي العهد – بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد، فخلعوه، إلَّا بكَّار بن قتيبة، وقال، أنت أوردت عليّ كتاب المعتمد بتوليته العهد، فَهَاتِ كتابًا آخر منه بخلعه. قال: إنه محجور عليه ومقهور. قال: لا أدري. فقال له: غرَّك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكَّار، أنت قد خرفت. وَقَيَّدَه وحبسه وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة الاف دينار، فقيل: إنها وجدت بختومها وحالها.

ونقل القاضي ابن خلكان أن ابن طولون كان يُنْفِذُ إلى بكار في العام ألف دينار سوى المقرر له، فيتركها بختمها فلما دعاه إلى خلع الموفَّق طالبه بجملة المال، فحمله إليه بختومه ثمانية عشر كيسًا، فاستحيا ابن طولون عند ذلك، وكان بكار يحدث من طاقة السجن، لأن أصحاب الحديث طلبوا ذلك من أحمد، فأذن لهم على هذه الصورة.

وكان بكار وهو في حبسه يلبس ثيابه وقت صلاة الجمعة، ويمشي إلى الباب، فيقول له الموكلون به: ارجع فيقول: اللهم اشْهَد. ولما اعتل أحمد بن طولون راسل بكارًا، وقال: إنا رادك إلى منزلك، فأجبني. فقال: قل له: شيخ فان، وعليل مُدْنَف، والملتقى قريب، والقاضي الله ﷻ (سير أعلام النبلاء: ٥٩٩/١٢)

ومات بعد موت ابن طولون، وغُسِّلّ ليلًا، وكثر الناس، وشيعة خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد، فلم يُدَفن إلى العصر.

٢١- ومن فضائل مصر: أنه خرج منها محدثون عظام وحفاظ:

أ- الحافظ السلفي-رحمه الله-:

الحافظ السلفي نزيل الإسكندرية وقمرها وهلالها وبدرها وجمالها شيخ الإسلام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، استوطن الإسكندرية خمسة وستين سنة إلى أن مات، وقف أنفاسه على الراحلة في طلب الحديث ثم مطالعة كتبه.

قال السلفي -رحمه الله-: لي ستون سنة ما رأيت منارة الإسكندرية إلا من هذه الطاقة[١].

قال الحافظ عبد القادر الرهاوي-رحمه الله-: بلغني أنه في مدة مقامة بالإسكندرية ما خرج إلى بستان ولا فرجة غير مرَّة واحدة، بل كان عامة دهره مُلازمًا مدرسته، وما كنا ندخل عليه إلا نراه مطالعًا في شيء.

قال الحافظ الذهبي-رحمه الله-: لا أعلم أحدًا حَدَّثَ نَيِّفًا وثمانين سنة سوى الحافظ السَّلَفي، وكان ينسخ الجزء الضخم في ليلة.

ب - ومن حفاظ مصر: شيخ الإسلام الحافظ الإمام المنذري-رحمه الله-:

أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري – رحمه الله– ولي الله، والمحدث عن رسول الله، كان –رحمه الله– قد أُتِيَ المكيال الأوفى من الورع والتقوى، والنصيب الوافر من الفقه، وأما الحديث فلا مراء في أنه كان أحفظ أهل زمانه وفارس أقرانه.

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-: ما كان في زمانه أحفظ منه.

وقد كان العز بن عبد السلام يُسْمِع الحديث بدمشق، فلما دخل القاهرة بطل ذلك، وصار يحضر مجلس الشيخ زكي الدين، ويسمع عليه في جملة من يَسْمَع ولا يُسْمِع، وترك زكي الدين الفتيا بعد دخول العز إلى مصر، وقال: حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إلَيّ.

وحدَّث الإمام النووي عن شيخه ضياء الدين إبراهيم بن عيسى المراد يصف حال شيخه المنذري قال: " لم أرَ ولم أسمع أحدًا أكثر اجتهادًا منه في الاشتغال، كان دائم الاشتغال في الليل والنهار. قال: وجاورته في المدرسة، يعني بالقاهرة، بيتي فوق بيته اثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي، ساعة من ساعات الليل، إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم، وحتى كان في حال الأكل والكتب عنده يشتغل فيها"

(بستان العارفين، للنووي صـ١٩١)

جـ - ومن حفاظ مصر: الحافظ شرف الدين الدمياطي -رحمه الله-:

أبو محمد وأبو أحمد عبد المؤمن بن خلف التوني.

هو شيخ الحفاظ الكبار: الحافظ المزي، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن سيد الناس، والحافظ السبكي.

وتكفي شهادة تلميذه الحافظ المزي حيث قال: "ما رأيت في الحديث أحفظ من الدمياطي".

(تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي: ١٤٧٧/٤)

---

١ - طاقة: يعني طاقة حجرته في المدرسة.

د - ومن حفاظ مصر: شيخ الشيوخ وشيخ الحديث بالديار المصرية الحافظ العراقي إمام الحفاظ في عصره أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المصري -رحمه الله-:

قال عنه حافظ الدنيا وتلميذه ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-: " لم أرَ أعلم بصناعة الحديث منه، وبه تخرجت، وقد أخبرني أنه عمل تخريج أحاديث البيضاوي بين الظهر والعصر، وكان كثير الحياء والعلم الوافر، وافر الجلالة والمهابة على طريق السلف، وغالب أوقاته في تصنيف، أو إسماع مع الدين والأوراد، وإدامة الصوم، وقيام الليل، كريم الأخلاق، ظاهر الوضاء، كأن وجهه مصباح، ومن رآه عرف أنه رجل صالح.

رحمة الله للعراقيِّ تتري ... حافظ الأرض حبرها باتفاق

إنني مُقسِمٌ أَلِيَّةَ صِدق ... لم يكن في البلاد مِثْلُ العراقي

(انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي: ١٧١/٢)

هـ - ومن حفاظ مصر: أستاذ الأستاذين وحافظ الدنيا الإمام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني -رحمه الله-:

صاحب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" وهو أشهر في الدنيا من الدنيا.

شهد له بالحفظ شيخه العراقي، وكفى بشهادته شهادة، وكان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلامذته.

إن قـلت نـهرٌ فهو للحَجَر انتمى ... ومن الحجارة منبع الأنهار

أو قُـلت بـحرٌ عسقلانٌ أصلُـه ... فالناس عالةُ بحرها الزخَّار

كم قد رحلت وكم جمعت مصنَّفًا ... فالدين قد أحييت بالأسفار

وسكنت في العَلْيا تُقًى وفضائلًا ... أنت الشهاب بك اهتداء الساري

و - ومن حفاظ مصر: الحافظ الهيثمي -رحمه الله- صاحب "مجمع الزوائد"

كان عجبا في الدين والتقوى والزهد، والإقبال على العلم والعبادة والأوراد، وخدمة الحافظ العراقي.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- عنه: كان كثير الاحتمال لشيخنا – العراقي-وأولاده، محبًا للحديث وأهله، وقد عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل، ورأيت من خدمة لشيخنا وتأدبه معه من غير تكلف لذلك ما لم أره لغيره، ولا أظن أحدًا يقوى عليه".

وقال البرهان الحلبي: إنه كان من محاسن القاهرة، ومن أهل الخير، غالب نهاره في اشتغال وكتابة، مع ملازمة خدمة الشيخ في أمر وضوئه وثيابه، ولا يخاطبه إلا ب "سيدي" حتى كان في أمر خدمته كالعبد "

(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: ٢٠٠/٥)

ز - ومن حفاظ مصر: الحافظ السخاوي -رحمه الله-:

تلميذ ابن حجر وصاحب كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"

حـ - ومن حفاظ مصر: السيوطي -رحمه الله-

الحافظ ذو التصانيف الكثيرة النافعة.....وغيره من الحفاظ والمحدثين والعلماء المبرزين.

٢٢- ومن أهل مصر العباد والزهاد والحكماء:

أ- وعلى رأسهم أبو الفيض ذو النون المصري-رحمه الله -:

الزاهد، شيخ الديار المصرية.. قال عنه الخليفة المتوكل:" إذا ذُكِرَ الصالحون، فَحَيَّ هلا بذي النون.

هو الحكيم المحب.. صاحب العبادات الوثيقة والإشارات الدقيقة.

يقول:" اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العُلا، وَحَطَّت همم قلوبهم في عاريات التقي حتى أناخوا في رياض النعم".

ومن دعائه الجميل:" اللهم متع أبصارنا بالجولان في جلالك، وسهرنا عما نامت عنه أعين الغافلين...إلهي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك.

سبحانك يا من بك أنست محبة المحبين، وعليك شوق المشتاقين، وإليك حنت قلوب العارفين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين ".

ويقول-رحمه الله-: " إن لله عبادًا تعلو قلوبهم بالأذكار، كما تعلو الأطيار في الأوكار، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبون".

وهو القائل:

أمــوتُ ومـا مــاتت إليك صبـابتي ... ولا ترويت من صدق حبك أوطاري

مُنَايَ المني كُلُّ المني أنت لي مُنًي ... وأنت الغني كـل الغني عند إقتاري

وأنــت مـدي سؤلي وغــايةُ رغبتي ... ومـوضع شكواي مكنـون إضماري

وبــين ضلوعي منك ما لك قد بدا ... ولم يبد بــاديه لأهــل ولا جـــار

ألست دليل الــركب إن هم تحيروا ... ومنقذ مــن أشفي على جرف هارِ

أنــرت الــهدي للمهتدين ولـم يكن ... من النور في أيديهم عشر معشار

فنلني بـــعفوِ منك أحيــا بقربــه ... أغثني بيسر منــك يطرد إعساري

والله إن كلام ذي النون المصري ورقته وجميل بيانه لكأنه ذوب شهدِ النيل ومائه العظيم. وجمال ما عليه من أشجار وأطيار ورقه.

هواءٍ في الأسحار لكأن هذا جمع في كلام ذي النون.. عذوبة بيان كأنها عذوبة النيل.. وطيب نفس كأنها شذا ورود وادي النيل.. ورقة معاني كنسائم الأسحار على ضفاف النيل رحمك الله أبا الفيض ...وأعلا مكانك بقدر ما هيجت الأشواق إلى عبادة رب العالمين ولقائه.

ب - وممن سكن الديار المصرية فشرفتها وأنارتها السيدة المكرمة الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن سبط النبي ﷺ الحسن بن علي- رضي الله عنها-:

كانت – رحمها الله وأكرمها– من الصالحات العوابد، زاهدة تقية نقية، تقوم الليل وتصوم النهار، حتى قيل لها " ترفقي بنفسك" لكثرة ما رأوا منها، فقالت:" كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟".

حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره. (عودة الحجاب، للمقدم: ٦٠٧/٢)

وقال عنها ابن كثير–رحمه الله–: " كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ".

توفيت – رحمها الله تعالى– وهي صائمة، فألزموها الفطر فقالت:" واعجباه!! أنا منذ ثلاثين أسأل الله – تعالى أن ألقاه صائمة أأفطر الآن؟! هذا لا يكون "، وخرجت من الدنيا وقد انتهت قراءتها إلى قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (مرآة الزمان صـ٨٢)

جـ - ومن رموز مصر ورجالاتها ورش قارئ الديار المصرية:

أبو سعيد المصري المقرئ عثمان بن سعيد ورش تلميذ نافع.. قرأ القرآن وجوَّده على نافع عدة ختمات.. ونافع هو الذي لقَّبه ورش؛ لشدة بياضه.

سمع منه عبد الله بن وهب، ويونس بن عبد الأعلى.. وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

(معرفة القراء الكبار، للذهبي: ١٥٢/١)

د- الشيخ محمد صديق المنشاوي.. والشيخ محمود خليل الحصري:

وإذا ذكرت مصر ذكر أهل الخشوع من قرائها: الشيخ محمود خليل الحصري.. والخاشع المتبتل الذي يبكي القلوب قبل العيون الشيخ محمد صديق المنشاوي–رحمه الله.

٢٢- أبطال مصر الميامين من المجاهدين الفاتحين الذين سطروا أنصع الصفحات:

صفحات مجد في الخلود سطورها خضع الرجال لها بغير جدال

وعلى رأس الأبطال الميامين:

أ-عبد الله بن سعد بن أبي السَّرْح وجنود مصر ومعهم معاوية وجنود الشام يكسرون الروم ويُنـزلون بهم شّر هزيمة في غزوة ذات الصَّوَاري:

غزا الأمير المجاهد أمير مصر عبد الله بن أبي السرح ﷺ في سنة أربع وثلاثين هجرية غزوة " ذات الصواري[١]" في البحر بجنود مصر من ناحية الإسكندرية، فلقيه قسطنطين بن هِرَقْل في جَمْعٍ لم تجمع الروم مثله مُذْ كان الإسلام، فخرجوا في خمس مئة مركب أو ست مئة، والمسلمون في مئتي مركب، وكان في كل مركب نصف شحنة، إذ قد خرج النصف الآخر إلى البر للقتال في منطقة أخري، وقدم أهل الشام وعليهم معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحر عبد الله بن سعد، وكانت الريح على المسلمين لَمَّا شاهدوا الروم، فأرسى المسلمون والروم، وسَكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم، والمسلمون يقرءون القرآن ويصلون، وأصبحوا وقد أجمع الروم أن يقاتلوا، فقربوا سفنهم، وقرب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها إلى بعض، وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر، واقتتل الطرفان بالسيوف والخناجر، فقتل من الروم بشر كثير، وصبر المسلمون يومئذ صبْرًا لم يصبروا مثله في موطن قط، فجرح قسطنطين ملك الروم وقائدهم في هذه المعركة، فانهزموا ولم يَنْجُ منهم إلا الشريد، وفي هذه المعركة تعرضت حياة البطل عبد الله بن سعد بن أبي السَّرْح لخطرٍ داهمٍ، فقد قرن مركبه بمركب من مراكب الروم، فكاد مركب العدو يجر مركب عبد الله إليهم، إلا أن أحد رجاله ضرب السلسلة التي تربط المركبين بالسيف فقطعها، وبذلك نجا عبد الله من الموت أو الأسر، لقد أظهر عبد الله في معركة " ذات الصواري " بطولة فائقة، تلك الغزوة التي أبعدت خطر الروم، بعد اندحارهم عن مصر وأرض الشام، ومات القائد الذي قضى سبع سنوات من مدة حكمه مصر غازيًا، وثلاث سنوات بين أهله.

ودعا ابن أبي السَّرْح: " اللهم اجعل خاتمتي على صلاة الصبح "، فلما طلع الفجر – من يوم وفاته– توضأ، ثم صلى الصبح، فقرأ في الركعة الأولي بفاتحة الكتاب و" العاديات"، والثانية بأم القرآن وسورة، ثم سلم عن يمينه، ثم ذهب ليسلم عن يساره، فقبض الله روحه سنة ست وثلاثين، فرضي الله عنه، وما أطيب خاتمته من خاتمة!!

(الكامل لابن الاثير: ١١٤/٣) (الإصابة لابن حجر: ١١/٤)

١- سُمِّيت غزوة ذات الصواري: لكثرة صواري المراكب واجتماعها.

ب- الناصر صلاح الدين، سيد المجاهدين، بطل حطين، ومحرر القدس من أيدي الصليبيين:

قال ابن كثير-رحمه الله-: "جاءت العساكر المصرية، وتوافت الجيوش المشرقيَّة، وسار السلطان قاصدًا بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفًا غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدومه، فاجتمعوا كلهم، وتصالحوا فيما بينهم، وتصالح (قومس) طرابلس و(برنس) الكرك الفاجر، وجاءوا بحدِّهم وحديدهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت، يحمله منهم عُبَّاد الطاغوت، وَضُلَّال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ، يقال: كانوا خمسين ألفًا، وقيل: ثلاثة وستين ألفًا، وقد خَوَّفَهُمْ صاحب طرابلس من المسلمين، فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له: لا أشكُّ أنك تحب المسلمين، وتخوفنا كثرتهم، وسترى غِبَّ ما أقول لك. فتقدموا نحو المسلمين، وأقبل السلطان ففتح (طبريَّة)، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبريَّة، عند قرية يُقال لها "حطين"، وجاء العدوُّ المخذول، فتواجه الفريقان، وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان، واغْبَرَّ وأقْتَم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان، و ذلك عَشِيّة يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم، وأصبح صباح يوم السبت، الذي كان يومًا عسيرًا على أهل الأحد[1]، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج، واشتد الحر، وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدامهم خيولهم حشيشٌ قد صار هشيمًا، وكان ذلك عليهم مشئومًا، فأمر السلطان النَّفَّاطة أن يرموه بالنِّفْط، فرموه، فتأجج نارًا تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس، وحر العطش، وحر النار، وحر السلاح، وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة، فحملوا، وكان النصر من الله ﷻ، فمنحهم الله أكتافهم، فقتل منهم ثلاثون ألفًا في ذلك اليوم، وأُسِرَ ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسِرَ جميع ملوكهم، سوى (قومس) طرابلس، فإنه انهزم في أول معركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غَلَّفُوهُ بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله، حتى ذُكِرَ أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بِطُنُب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة، والتابعين، فلله الحمد دائمًا كثيرًا طيبًا مباركًا . (البداية والنهاية: ٣٤٢/١٢)

وَمُذِ استولى الفرنج على ساحل الشام، ما شُفِي للمسلمين كيوم حطين غليل، فما أفلت من آلاف الصليبيين إلَّا آحاد، وما نجا من أولئك الأعداء إلَّا أعداد.

ولقد فتح صلاح الدين بعد كسرة حطين وقبل فتح بيت المقدس أكثر من خمسين بلدة ومدينة، ثم مَنَّ الله عليه بفتح بيت المقدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانية وخمس مئة هجرية.

فلو رآك وقد حُزْت العلا عمرُ ... في قُلَّة التَّلِّ قَضَّي كُنْهَ عَبْرَتِهِ

ولو رآك وأهل القدس في وَلَهٍ ... أبــو عبيدة فَدَّى مــن مَسَرَّتِهِ

١- أهل الأحد: أي النصارى

غـداةَ جزُّوا النواصي فـي قِمَامتِه وأعْوَلوا بالتَّباكي حول صخْرتِهِ
دارتْ بك الملة الحُسْني فنحن على عهد الصحابة في استمرارِ مُرَّتِهِ

ويكتب صلاح الدين للخليفة العباسيِّ:" وهذه المقاصد الثلاثة: الجهاد في سبيل الله، والكف عن مظالم عباد الله، والطاعة للخليفة هي مراد الخادم من البلاد إذا فتحها، واللهُ العالِمُ أنه لا يقاتل لعيش ألين من عيش، ولا لِغَضب يملأ العيان".

قال القاضي ابن شداد -رحمه الله- عن صلاح الدين: " كان-رحمه الله- شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولقد كان الجهاد وحبُّه والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيمًا، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه، وقنع من الدنيا بالسكون، في ظل خيمة، تهب الرياح يمنة ويسرة. (عيون الروضتين لأبي شامة: ٣٠٥/٢)

قال ابن شداد-رحمه الله-: "ولم يخلف السلطان أموالًا ولا أملاكًا، لجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم، حتى إلى أعدائه، ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهمًا ودينارًا، مات صلاح الدين وما مكنوا أن يدخلوا في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يلت به الطين، وعظم بكاء الناس عليه، حتى إن العاقل يتخيل أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا.

وقال ابن شداد: " وذُكِرَ أنه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد، وكان ذلك برأي القاضي الفاضل. قال: " هذا يتوكأ عليه في الجنة إن شاء الله ". (المصدر السابق: ٢٩٠/٢)

جـ - ومن ملوك مصر: الملك المعظم توران شاه الذي قاد مجاهدي مصر في "يوم المنصورة" .. وأسْرُهُ للويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٨هـ:

ريدا فرانس (القديس لويس) هو لويس التاسع.. هو ألفرنسيس ملك فرنسا، وأعظم ملوك الفرنج وأشدهم بأسًا، الذي جاء على رأس الحملة الصليبية السابعة سنة ١٢٤٨م واستولى على دمياط.

وفي عام ٦٤٨ هـ وصل المعظم إلى المنصورة بعد موت أبيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وفتح الله على يديه، وسبب النصر أنه لما طال القتال بين ألفرنسيس وجنوده من الصليبيين والجيوش الإسلامية أشهرًا، ضعف حال الفرج لانقطاع الميرة عنهم، ووقع في خيلهم وباء وموت، وعزم ألفَرَنْسيس على أن يركب في أول الليل ويسير إلى دمياط، فعلم بذلك المسلمون، وكان الفرنج قد عملوا جسرًا عظيمًا من الصنوبر على النيل فَسَهَوْا عن قطعه، فعبر منه المسلمون في الليل إلى برهم، وخيامهم على حالها وثقلهم، وأحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلًا وأسرًا، فالتجئوا إلى قرية تسمى " مُنْيَة أبي عبد الله "، وتحصَّنوا بها، ودار المسلمون حولها، وظفر أسطول المسلمين بأسطولهم فغنموا جميع المراكب بمن فيها، واجتمع إلى ألفرنسيس خمس مئة فارس من أبطال الفرنج، وقعد في حوش "مُنْيَة أبي عبد الله"، وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي، ونزلوا على أمانه، وأخذوا إلى المنصورة، فقيد الملك (ريدا فرانس) بقيد من حديد، واعتقل

في دار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان-كاتب الإنشاء- التي كان ينزل بها من المنصورة، ووكل بحفظه الطواشي صبيح المعظمي، واعتقل معه أخوه، وهرب باقي الفرنج، وأحدق المسلمون بهم، وبقوا يحملون عليهم حملة بعد حملة، حتى أبيدت الفرنج، ولم يبق منهم سوى فارسين، فرموا نفوسهم بخيولهم إلى البحر فغرقوا، وغنم المسلمون منهم ما لا يوصف، واستغني خلق، فكان يومًا من الأيام المشهودة .

واقْتِيدَ الأسرى في الحبال، وأحصي عددهم فكانوا نيفًا وعشرين ألف آدمي، والذي غرق وقُتِلَ سبعة آلاف نفس.

قال سعد الدين بن حموية في تاريخه: فرأيت القتلى وقد ستروا وجه الأرض من كثرتهم، وكان الفارس العظيم يأتيه سائق يسوقه وراءه كأذل ما يكون، وكان يومًا لم يشاهد المسلمون مثله، ولم يقتل في ذلك اليوم من المسلمين مئة نفس، وأبقى الملك المعظم الأسري، وأخذ أصحاب الصنائع، ثم أمر بضرب رقاب الجميع. أهـ

وكتب المعظم توران شاه إلى نائبه في الشام جمال الدين بن يَغْمُور يقول: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾، ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾، ﴿**فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾، ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر الإسلام كافة بما من الله على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه كان قد استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ**﴾، ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن، وبذلنا الأموال، وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان والمطوعة، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله- تعالى-، فجاءوا من كل فج عميق، ومن كل مكان بعيد سحيق، ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل فَأَبَيْنَا، (انظر النجوم الزاهرة لأبن تغري بردي: ٣٢٣/٦)

ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم، وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا في آثارهم طالبين، وما زال السيف يعمل فيهم عامة الليل، ويدخل فيهم الخزي والويل، فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفًا غير من ألقى بنفسه في اللجج، وأما الأسرى، فَحَدِّثْ عن البحر ولا حرج، والتجأ ألفرنسيس إلى المُنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعونه وقوته، وجلاله وعظمته (سبحانه وتعالى).

وفدي ألفرنسيس نفسه بأربع مئة ألف دينار، وأعطي هو والجنود ثمان مئة ألف دينار عوضًا، عما كان بدمياط من الحواصل، وسار إلى بلاده، وأراد العود إلى دمياط مرة أخرى، فأهلكه الله.. وكتب الصاحب جمال الدين يحيي بن مطروح، وكتب بها إلى ألفرنسيس وفي أخرها:

أتيت مصر تبتغي ملكها	تحسبُ أن الزَّمْرَ يا طبلُ ريحْ
فساقك الْحَيْن إلى أَدْهَم	ضاق به عن ناظرَيْك الفسيحْ
وقل لهم إن أضمروا عَوْدة	لأخذ ثارٍ أو لفعل قبيح
دارُ ابن لقمان على حالها	والقيد باقٍ والطواشِي صبيحْ[1]

١- صبيح: تعني أن يتركوا دمياط ويغادروا مصر، وبالمقابل يعطون القدس.

د- ومن سلاطين مصر أبطال الجهاد قطز، بطل عين جالوت، وصاحب الصيحة الشهيرة (واإسلاماه): واسمه سيف الدين قطز بن عبد الله المُعزِّي:

قال عنه الذهبي في "السير:٢٣/٢٠٠-٢٠١": كان فارسًا شجاعًا، سَائِسًا، دَيِّنًا، مُحَبَّبًا إلى الرعية، هزم التتار، وطهَّر الشام منهم يوم "عين جالوت"، وهو الذي كان قتل الفارس أقطاي، ويسلم له – إن شاء الله – جهاده، ويقال: إنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين، وأنه حُرٌّ واسمه محمود بن ممدود ".

وقال الذهبي أيضًا في " تاريخ الإسلام ": " وله اليد البيضاء في جهاد التتار، فعوض الله شبابه بالجنة ورضي عنه ".

وقال ابن كثير-رحمه الله-: " كان شجاعًا بطلًا، كثير الخير، ناصحًا للإسلام وأهله، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرًا ".

لما بلغ المظفَّر قطز ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة، وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه، وبرز إليهم وأقدم عليهم، فخرج في عساكره، وقد اجتمعت الكلمة عليه، وكان لقاؤه مع عسكر المغول "كتبغانوين" فالتقى بهم في "عين جالوت" يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة٦٥٨هـ، فاقتتلوا اقتتالًا عظيمًا، فكانت النُّصْرة – ولله الحمد– للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتِلَ أمير المغول "كتبغانوين" وجماعة من بيته (البداية والنهاية ٢٣٤/١٣)

"ويُذْكَرُ عن قطز أنه يوم عين جالوت، لما أن رأى انكشافًا في المسلمين، رمى عن رأسه الخوذة وحمل، ونزل النصر ". (سير أعلام النبلاء: ٢٠١/٢٣)

وذكر ابن كثير-رحمه الله- في "البداية والنهاية:١٣/٢٣٨": أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت، قتل جواده، ولم يجد أحدًا– في الساعة الراهنة – من الوشاقيَّة الجنائب، فترجل وبقي واقفًا على الأرض ثابتًا، والقتال عمَّال في المعركة، وهو في موضع السلطان من القلب، فلما رآه بعض الأمراء تَرَجَّلَ عن فرسه، وحلف على السلطان ليركبنَّها، فامتنع، وقال لذلك الأمير: ما كنت لأحرم المسلمين نفعَك ولم يزل كذلك، حتى جاءته الوشاقيَّة بالخيل فركبن فلامَهُ بعض الأمراء، وقال: يا خوند، لم لا ركبت فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك. فقال:" أما أنا فكنتُ أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيِّعه، قد قُتِلَ فلان وفلان وفلان– حتى عدّ خلقًا من الملوك– فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضيِّع الإسلام".

هـ- ومن ملوك مصر الظاهر بيبرس، قاهر الصليبيين، فاتح أنطاكية، وهازم الأرمن والمغول:

لما جاء الظاهر بيبرس كان كالشمس الساطعة، التي صهرت ثلوج الغرب الباردة، وحولتها إلى سراب، قذفت به ريح الإسلام القوية إلى حيث قدمت.

سيذكر التاريخ لبيبرس قيادته في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠م، حيث دوخ فرسان الفرنجة، وسيذكر التاريخ بكل فخر تولي بيبرس قيادة المقدمة في عين جالوت، وتتبعه لفلول التتار بعد المعركة.

قال ابن كثير –رحمه الله–: " كان الملك الظاهر شهمًا شجاعًا، عالي الهمة بعيد الغور، مقدامًا جسورًا، معتنيًا بأمر السلطنة، يشفق على الإسلام، متحلِيًا بالملك، له قصد صالح في نصرة الإسلام وأهله، وإقامة شعار الملك، وفتح في أيامه فتوحات كثيرة: قيسارية، وأرسون، ويافا، والشقيف، وأنطاكية، وبغراض، وطبرية، والقصير، وحصن الأكراد، وحصن عكا، والغرين، وصافيتا، وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج، ولم يدع مع الإسماعلية شيئًا من الحصون، وناصف الفرنج على "المرقب" و "بانياس" وبلاد "أنطرسوس"، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون، وفتح "قيسارية" من بلاد الروم، وأوقع بالروم والمغول على " البلستين" بأسًا لم يسمع بمثله من دهورٍ متطاولة، واستعاد من صاحب "سيس" بلادًا كثيرة، وجاس خلال ديارهم وحصونهم، وفتح بلاد النوبة بكاملها من بلاد السودان، وانتزع بلادًا من التتر كثيرة، منها شيز زور والبيرة، وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يُبْنَ في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب، مع اشتغاله بالجهاد في سبيل الله، واستخدام من الجيوش شيئًا كثيرًا، وكان مقتصدًا في ملبسه ومطعمه، وكذلك جيشه، وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها، وكان– رحمه الله– متيقظًا شهمًا شجاعًا لا يفتر عن الأعداء ليلًا ولا نهارًا – بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله – ولم شَعَثِهِ واجتماع شمله . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخِّر عونًا ونصرًا للإسلام وأهله، وشجًا في حُلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين، وأبطل الخمور، ونفي الفساق من البلاد، وكان لا يرى شيئًا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته ... وله أوقاف وصلات وصدقات، تقبل الله منه الحسنات، وتجاوز له عن السيئات. (البداية والنهاية: ٢٩١/١٣)

وهاجم أرمينية، وقتلت جيوشه "ثورس" ابن ملك الأرمن، وأسرت أخاه " ليو" ودُمِّرتْ "سيس" عاصمة الأرمن، وعاد الجيش المنتصر ومعه أربعون ألف أسير.

وعلى يد بيبرس دمرت أنطاكية أول إمارة أقامها الفرنج في بداية حروبهم الصليبية، وكان تحريرها في (٢٨مايو سنة ١٢٦٨م) على يد المصريين وعلى رأسهم بيبرس ضربة قوية لهيئة الصليبيين، وما من جندي من المسلمين إلا كان له أسير مملوك من أهلها.

وأرسل بيبرس إلى الوصي على عكا مُحَذِّرًا له " إن كل هذا الجيش[١] ليس في كثرة العدد ما يضارع الأسرى الفرنج في القاهرة ". وغزا بيبرس بلاد الأناضول سنة ١٢٧٧م، وسحق المغول هناك.

١- أي: جيش الصليبين في عكا.

و - ومن جنود مصر المجاهدين الملك المنصور سيف الدين قلاوون -رحمه الله-، هازم المغول، ومحرر اللاذقية وطرابلس:

في يوم الخميس الرابع عشر من رجب سنة ٦٨٠ هـ = أكتوبر سنة ١٢٨١م التقى جيش المغول في ظاهر حمص بجيش المسلمين، وكان على قلب جيش المغول "منجو" شقيق الأيلخان "أباقا" إمبراطور المغول، وعلى الميسرة أمراء من المغول وعلى الميمنة (بليو الثالث) ملك أرمينيا، ومعه الأسبتارية وعساكر الكرج، وكان قلاوون على قلب الجيش الإسلامي، والمنصور حاكم (حماة) على ميمنة الجيش، وعلى الميسرة سُنقر وجنود الشام، وهزمهم المنصور قلاوون هزيمة شنيعة وكبدهم خسائر فادحة.

قال ابن كثير-رحمه الله- عن وقعة حمص: " اقتتلوا قتالًا عظيمًا، لم يرَ مثله من أعصارٍ متطاولة، فاستظهر التتار أول النهار، وكسروا الميسرة، واضطربت الميمنة -أيضًا- وكُسر جناح القلب الأيسر، وثبت السلطان ثباتًا عظيمًا جدًا في جماعة قليلة، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين، وأشرف المسلمون على خطَّة عظيمة من الهلاك، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان لما رأوا ثبات السلطان، ردوا إلى السلطان، وحملوا حملات متعددة صادقة، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة جدًا، ورجع التتار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين، فوجدوا أصحابهم قد كسروا، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق، والكوسات تضرب خلفه، وما معه إلا ألف فارس، فطمعوا فيه، فقاتلوه فثبت لهم ثباتًا عظيمًا، فانهزموا من بين يديه، فلحقهم فقتل أكثرهم، وجرح "منكوتمر" قائد جيش التتار، وكان ذلك تمام النصر . وأما التتر الذين أتوا في المعركة في مئة ألف مقاتل أو يزيدون، فإنهم انهزموا في أسوأ حال وأتعسه، يتخطفون من كل جانب، ويقتلون من كل فج، حتى وصلوا إلى الفرات فغرق أكثرهم، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأسروا آخرين، والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد، حتى أراح الله منهم الناس. (البداية والنهاية: ٣١٢/١٣)

ويحرر اللَّاذقية وطرابلس:

سقطت اللاذقية في قبضة جيش قلاوون سنة ٦٨٦هـ، ثم سار السلطان قلاوون في سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس، فنازلها أربعة وثلاثين يومًا حتى فتحها عنوة في رابع ربيع الآخر، وهدمها جميعًا، وأنشأ قريبًا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن.

واستقبل الإفراج والسكان في عكَّا أنباء تحرير طرابلس بالذهول، فقد كانت الصدمة كبيرة، ولما انتهك أهل عكا الهدنة مع المسلمين سار إليها السلطان قلاوون على رأس جيشه بعد أن أقسم ألا يترك في المدينة نصرانيًا على قيد الحياة، لكنه لم يكد يبدأ المسير، حتى سقط مريضًا، وبعد ستة أيام قضي نحبه وهو في طريقه للجهاد، فعهد لابنه الأشرف خليل بفتح عكَّا.

ز - ومن ملوك مصر: الملك الأشرف خليل، محرر عكا سنة ٦٩٠ هـ:

سار الملك الأشرف لفتح عكَّا بجيش يضم ستين ألف فارس، ومئة وستين ألفًا من المشاة ومعهم العرَّادات، والمجانيق التي اشتهرت باسم " الثيران السوداء ". واحتشد النصارى– من الدَّاوِيَة والأسبتارية – وفئة من الإنكليز والألمان ومقاتلي قبرص، وانضم إليهم بعد مدة ملك قبرص "هنري"، وكانت تحصينات المدينة قوية ومتينة.

ونصب السلطان الأشرف على عكَّا اثنين وتسعين منجنيقًا، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يومًا حتى فتحها عنوةً، في يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى، وهدمها وحرقها.

ولله در الأشرف حين أرسل إليه الملك هنري–أثناء الحصار– فارسين من الداوية لمحاولة عقد هدنة، فاستقبلهما الأشرف خارج خيمته، وسألهما في إيجاز ما إذا كان قد أحضرا معهما مفاتيح المدينة، فلما أنكرا، قال لهما: إن ذلك هو المطلب الذي يطلبه، ولا يهمه مصير سكان المدينة، غير أنه تقديرًا منه لشجاعة الملك بقدومه للقتال وهو لازال حدثًا، فضلًا عن مرضه فإنه سوف يبقى على حياتهم إذا ما استسلموا له، وفي أثناء حديثه لهما قذفت عرَّادة من الأسوار حجرًا سقط قرب الجماعة، فاستشاط السلطان غضبًا، وسل سيفه وهم بقتل السَّفيريْن، ولكن الأمير "الشجاعي" تدخَّل، فمنعه من ذلك، وقال له: بأنه لا يصح أن يدنس سيفه بدماء الخنازير، ثم سمح للفَارسين بالعودة إلى ملكهما .

ولم تَكَدْ عكا تقع في قبضة الأشرف، حتى شرَع في تدميرها، واستباحة دورها وأسواقها، ثم إشعال الحريق بها، كما تَمَّ تدمير الأبراج والقلاع المنيعة، إذ عزم على ألا تكون مرَّة أخرى رأس حربة لما يقوم به الفرنجة الصليبيون من اعتداء على بلاد الإسلام.

تحرير بقية بلاد الشام، وبيعت الفتاة في سوق الرقيق بدرهم واحد:

وجه الأشرف جيشًا لتحرير مدينة صور، وكانت من أمنع المدن على سواحل بلاد الشام، وقاوم الداوية في صيدا، واحتل السلطان حيفا وجبل الكرمل وطرسوس وعثليت.

جابت جيوش الأشرف بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها لمدة شهور كاملة، مدمرة كل ما تعتبره ذا أهمية للفرنج الصليبيين، إذا ما حاولوا مرة أخري النزول إلى البّر، وتقرر اجتثاث الأشجار، وتعطيل أدوات الري، وتطبيق ما يعرف حديثًا باستراتيجية الأرض المحروقة.

بلغ عدد الأسرى عددًا كبيرًا، وهبط ثمن الفتاة في سوق الرقيق إلى درهم واحد فقط، كانت هناك مقاومة ضارية من فرسان الداوية والأسبتارية، وكذلك البنادقة والبيازنة، ولكن ما تجدي هذه المقاومة أمام حماس المجاهدين في سبيل الله.

وفتح قلعة الروم في ١١ رجب سنة ٦٩١ هـ:

سار الملك الأشرف إلى قلعة الروم، فافتتحها بالسيف قهرًا في يوم السبت حادي عشر رجب، وكان الفتح في هذا اليوم بعد حصار عظيم جدًا مدة ثلاثين يومًا.

فيا أشرفَ الأملاكِ فُزْتَ بغزوةٍ ... تحصَّل منها الفتح والذِّكْرُ والأجْرُ
ليهنيك عند المصطفي أنَّ دِينَهُ ... توالي له في يُمْنِ دَوْلَتِكَ النَّصْرُ
وَبُشْرَاكَ أَرْضيْتَ المسيح وأحمدَا ... وإن غضب اليحفور من ذاكَ والكُفْرُ
فَسِرْ حيث ما تختار فالأرض كلها ... تطيعك والأمصار كلها مِصْرُ

هذه صفحات من أمجاد مصر.. وهي نقطة من بحر الأمجاد التي سطرها الأبطال من الأجداد.. من عظماء المسلمين في مصر.. وأمجادهم تكتب فيها المجلدات؛ في الفقه والحديث والزهد والقراءات والجهاد.

وهكذا دخل أهل مصر في الإسلام فحملوه ملء حبات الأعين، وسادوا به الدنيا، وبزغ فيهم النجوم الزواهر.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث أوصي عند موته فقال:" الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله". (الصحيحة: ٣١١٣)

خطبة الشيخ عبد الرحمن العريفي-حفظه الله - في فضل مصر

تتمة للفائدة أذكر هنا خطبة الشيخ العريفي والتي ألقاها بمسجد البواردي بالرياض يوم ١٤ ديسمبر سنة ٢٠١٢، وألقاها أيضًا في مصر في مسجد عمرو بن العاص ﷺ.

ومما جاء في الخطبة عن فضل مصر:

أيها الإخوة المسلمون: إنها اليوم شهادة في بلد الأنبياء، إنها شهادة في مسكن العلماء، إنها رسالة إلى بلد العلم والجهاد، إنني أتحدث اليوم عن أم الدنيا، دعوني اليوم أتحدث عن مصر.

من شاهد الأرض وأقطارها والناس انواعًا واجناسًا ولا رأى مصر وأهلها فما رأى الدنيا ولا الناس، هي وطن البلاد وهي أم المجاهدين والعباد، قهرت قاهرتها الأمم وصلت بركاتها إلى العرب والعجم، هي بلاد كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة، فكم لمصر وأهلها من فضائل، ومزايا، وكم لها من تاريخ في الاسلام وخفايا منذ أن وطئتها أقدام الأنبياء الطاهرين، ومشت عليها أقدام المرسلين المكرمين والصحابة المجاهدين.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام فإن عمر ﷺ، أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة فصنعت الكسوة من عهد عمر ﷺ وظلت كسوة الكعبة هناك في مصر سنة تلو سنة حتى مرت أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المئة سنة.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي أبرز ما ينفع الحجاج في علاجهم يأتون من أقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية.

إذا ذكرت المصريين، ذكرت الدفاع عن فلسطين وذكرت الجهاد والمجاهدين فصلاح الدين أقام بمصر، وكثير من قوادة منها وأبرز المعارك مع اليهود قادها مصريون.

إذا ذكرت المصريين ذكرت أمنا هاجر، وماريا القبطية ذكرت أخوال رسولنا، وأصهار نبينا

لا لن أشهد اليوم لمصر فما مثلى يشهد لمثلها بل سأخطب عن كوكبة العصر، وكتيبة النصر وأيوان القصر، سأتكلم عن أم الحضارة وأم المهارة ومنطلق الجدارة.. نعم سأخطب عن أرض العزة وعن بلاد العلم والقطن، والبز.

أيها المسلمون:

ذكر الله- تعالى- مصر في القرآن وبين الله- جل وعلا- اسمها صريحا في أربعة مواضع في كتابه، تشَريفًا لها وتكريمًا، **فقال الله جل وعلا:** ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف:٢١)

وقال سبحانه: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩)

وقال جل وعلا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ (يونس:٨٧)

وقال تعالى قاصًا عن الهالك فرعون لما قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف:٥١)

ليس هذا فقط بل أشار الله تعالى إلى مصر ولم يصرح باسمها في ثلاثين موضعًا من القرآن **كقوله جل وعلا:** ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يعني: مصر (القصص: ١٥)

وقوله جل وعلا ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٠٩) إلى آخر هذا المواضع

إن مصر أيها المسلمون هي الأرض الطيبة التي قال الله تعالى عنها لما طهرها الله تعالى من فرعون وقومه مدح الله تعالى مصر **فقال:** ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الدخان:٢٥-٢٦)

إن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا جل وعلا **لما قال عن يوسف** عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥)

ولم يذكر الله تعالى قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل **قال جل وعلا:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص:٧) يعنى في نيل مصر

قال الكندي-رحمه الله-: لا يعلم بلد في اقطار الأرض أثنى الله- تعالى- عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه الله بمثل هذا الوصف ولا شهد له بالكرم غير مصر..

نعم إنني أتكلم عن مصر، وقد وصى النبي ﷺ الأمة كلها بمصر وبأهلها، ***فقال بأبي هو وأمي:*** **" إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا". *وفي لفظ قال:* " فإن لهم ذمة وصهرا ".** (رواه مسلم)

هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام وهى أم اسماعيل جد نبينا عليه الصلاة والسلام هي مصرية من القبط، ومارية سرية رسول الله ﷺ ، وأم ولده ابراهيم هي مصريه أيضا، ***ولذلك قال عبدالله ابن عمرو بن العاص- رضى الله تعالى عنهما-:*** **" قبط مصر هم أخوال قريش مرتين ".**

وقال النبي ﷺ: **" إنكم ستفتحون مصرا أحسنوا الى أهلها فإن، لهم ذمة ورحما".** (رواه مسلم)

فهي وصية للأمة كلها لكل من تعامل مع المصريين أن يحسن إليهم وأن يكرمهم، وأن يعرف قدرهم، وأن يقف معهم عند حاجتهم، وأن ينصرهم عندما يؤذون، الهدية إليهم من أفضل الهدايا وأذيتهم من أعظم الرزايا، ولم يكتف نبينا ﷺ بمدح مصر وأهلها بل أمر بالإحسان إلى أقباطها فقال- عليه الصلاة والسلام-: **" الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدةً وعونًا في سبيل الله ".** (رواه الطبراني وصححه الألباني)

نعم، وكم يسرنا اليوم والله من تآلف بين مسلمي مصر، وبين أقباطها[1]، ونسأل الله-جل وعلا- أن يجمعهم جميعًا على العقيدة الصحيحة التي بعث الله- تعالى- بها عيسى عليه السلام وبعث بها محمد ﷺ ، وبعث بها جميع الأنبياء- عليهم السلام-، وهى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

أيها المصريون

الإسلام فيكم وجد أعياده.. وكنتم يوم الفتح أجناده.. وكنتم عام الرمادة مداده.. واحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده.. وحطمتم خط بارليف وعتاده.. وكنتم يوم العبور أسياده وقواده.

يا أهل مصر. يا أهلي ويا مشايخي ويا من أخذتُ عنهم الأسانيد في قراءة القرآن.. يا أصحابي

إن في أرضكم الوادي المقدس طوى، وفيها الجبل الذى كلم الله- تعالى- عليه موسى عليه السلام، وفيها الجبل الذى تجلى الله سبحانه إليه فانهد الجبل دكًا، وهى مبوأ الصدق الذى قال الله- تعالى- عنه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (يونس:٩٣)

وفي أرضكم يجرى نهر النيل المبارك الذي ينبع أصله من الجنة: ***قال النبي*** ﷺ: **" النيل، وسيحان، وجيحان والفرات، من أنهار الجنة".** (رواه مسلم)

وفي ارض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون:٥٠)

وعلى أرض مصر ضرب موسى عليه السلام بعصاه فانفلق الحجر له ماء وانشق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم.

نعم إنها مصر. إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر...

إذا أردت اللغة والفصاحة فإنك تنتهي إلى مصر...

إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزاما إلى مصر...

إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر، جليل الجناب، أشار الله- تعالى- لكبر مصر، وأشار لعظم مساحتها فقال جل وعلا: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء:٥٣)

وهذا يدل على كثرة مدنها، ولعظم قدر مصر..

١- قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة": القِبطُ: أهلُ مصر، والنِّسبة إليهم قِبطيٌّ، وقال الجوهري في "الصِّحاح": القِبْطُ: أهل مصرَ، وتخصيص هذا الإطلاق على نصارى مصرَ، يُخالِف الحَقِيقةَ التَّاريخيَّة المُثْبَتة والهَدَفُ من ذلكَ إثباتُ أنَّ المُسلِمينَ غزاةٌ مُحْتلُّونَ، اغْتَصَبُوا مصرَ منَ النَّصارى. ومع هذا فقد دَرَجَ عُرْف الناس في العُصُور المتأخرَّة على تخصيص نَصَارَى مصرَ بهذه اللَّفْظة، بحيثُ إذا قيل: القبطي، فَهِمَ السَّامعُ أن المُتَكَلِّمَ يَقْصُدُ بها النصراني من أهل مِصْرَ، واشْتُهِرَ ذلك بين كثيرٍ منَ الناس، حتى أصبح التَّفْريق فيها بين الصَّواب والخطأ عزيزًا، لا يعلمُه إلاَّ طائفةٌ محدودةٌ منَ الناس، وقد جمع واضعي "المعجم الوسيط" بين المعنيين: اللُّغويِّ والعُرْفِيِّ؛ لِيَتَنَبَّه الناسُ للحقيقة الثابتة، مع إحاطتهم بالمعنى العرفي المشهور.
فجاء في "المعجم الوسيط": القِبْطُ: كلمةٌ يونانيَّة الأصل، بمعنى سُكَّان مصر، ويُقْصَد بهم اليوم المسيحِيُّون منَ المصريينَ، جمعها: أقباط. اهـ.

ومنذ القديم افتخر الهالك فرعون أنه يملكها دون غيرها، فقال كما حكى الله- جل وعلا- عنه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف:٥١)

قال عمرو بن العاص ﷺ قال: " **ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة** ". يعنى أن كل بلاد الاسلام في كفة، وإن الذي يلي على مصر يكون أخذ الكفة الأخرى.

وقال سعيد ابن هلال-رحمه الله-: " إن مصر أم البلاد، وغوث العباد، إن مصر مصورة في كتب الاوائل وقد مدت إليها سائر المدن يدها تستطعمها، وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان.

قال الجاحظ-رحمه الله-: إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ماضرهم.

وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء، والزهاد، والعباد، والمجاهدون، والأبطال، والشجعان، قال أبو الزناد صاحب أبي هريرة ﷺ:" خير سواحلكم رباطًا: الاسكندرية ".

وقال سفيان بن عيينة-رحمه الله- يومًا لأحمد بن صالح: يا مصري! أين تسكن؟ قال: الفسطاط، قال: فأت الإسكندرية فإنها كنانة الله التي يجعل فيها خير سهامه.

وعند المصريين جامع عمرو بن العاص ﷺ صاحب رسول الله-عليه الصلاة والسلام- وهو أول جامع بُنِيَ في قارة أفريقيا وقد ضبط قبلته جماعة من الصحابة قدروا بثمانين صحابيًا، اجتمعوا عند بناء المسجد، وقدروا قبلته حتى يتوجه الناس اليها.

وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل المشهور، والعلم المنثور والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر، العلماء فيه متكاثرون، والعباد فيه قائمون، والزوار اليه متوافدون.

مصر قادت الأمة الاسلامية أكثر من٢٦٥ سنة كانت الخلافة في مصر من بعد انقطاع الخلافة من بغداد عام٦٥٦ للهجرة إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا في عام٩٢٤ بينهما أكثر من ٢٦٥ سنة كانت الخلافة في مصر وهي التي تقود بلاد الإسلام.

أما أهل مصر فيكفيهم شرفًا وفخرًا أن الله- تعالى- اختار منهم الأنبياء، وجعل الله- تعالى- الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم، فهذا الخليل إبراهيم عليه السلام شيخ الموحدين، وأفضل المرسلين، وجد خاتم النبيين أتى مصر مع زوجة سارة وتزوج هاجر المصرية، وهذا يعقوب عليه السلام دخلها مع أبنائه الأنبياء، وتوفوا ودفنوا فيها، وهذا يوسف عليه السلام سكن مصر وحكم فيها وتوفي ودفن فيها، وهذان موسى وهارون –عليهما السلام – وُلِدَا في مصر وعاشا فيها، وهذا يوشع بن نون ولد في مصر وعاش فيها، وهذا الخضر، وهذا أيوب، واشعيا، وارميا –عليهم أفضل الصلاة والسلام كلهم دخل مصرا، ومنهم من مات فيها.

وقد ضرب الله تعالى أبطال مصر أمثلة في كتابه فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل الثابت على الحق، الذي قال الله- جل وعلا- عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر: ٣٨)

والرجل المؤمن الذى حذر موسى عليه السلام فهو مصري ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص:٢٠)

ومن المصريين: السحرة الذين ذكر الله تعالى قصتهم لما آمنوا وصدقوا وكانوا في أول النهار سحرة فجرة، وصاروا في أخر النهار شهداء بررة... إنها بلاد الأبطال.

قَارَنتُ مصرّ بغيُرهَا، فتدللت.. وَعَجزتُ أن أحظى لَهَا بمثيل

هذي الحضارةُ مُعجزات في الوَرَيّ.. عَقِمَ الزَّمَانُ بمثلها كبديل

رفع الإلهُ مقامها، وَأَجَلّهُ مِنَ الذِّكْرِ، وَالتَّوْرَاةِ والإنجيل

جاؤا بيوسفَ من غياهِبِ ظُلمةٍ.. أرض العزيز، فكان خير نزيل

والنّيل يَتبَعُ وَحْيَ منشئ قَطْرِهِ.. كَالطيْرِ حِينَ الوَحْيِ عام الفيل

في طور سَيْناء تَجلّىَ رَبُنا.. فوقَ الكَلِيُم، بأوّل التنزيل

وكذا البتول، أتت لمصر بإبنها.. تبغيّ الأمَان، وتحتمي بِمَقيل

يَكفيكِ يَا أَرْضَ الكنانة هَاجَرٌ.. مِيلِي بتيه، يَا كنّانَةُ مِيلِي

يَا أَمْ إِسْمَاعِيُلَ وَصلُكِ وَاجِبٌ.. مَنْ عَقَ مِصرَ فقَدْ أتي بجليلِ

هذي عِنَايةُ قادرٍ خُصت بِهَا مصر.. لِتَبْقى مَوْضع التفضيل

بوركت مصر، فلا أرانِيَ بَالِغا.. حَقّ المديحِ، وَإِنْ جَهَدْتُ سبيلي

يَا مَصرُ يَرْعَاكِ الإلهُ كَمَا رَعَيَ.. تَنْزلهُ مِنْ عَابثٍ ودخيل

أما نساء مصر فيكفي المصريات فخرًا، وعزًا، وشرفًا أن سيد الأنبياء محمد ﷺ كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده مارية مصرية، ويكفي المصريات فخرًا أن ماء زمزم تفجر إكرامًا لامرأة مصرية هاجر ولإبنها اسماعيل، ويكفي المصريات فخرًا أن هاجر المصرية عندما سعت بين الصفا والمروة خلد الله تعالى فعلها، وأمر الأنبياء وسائر الأولياء والحجاج والمعتمرين بأن يسعوا كسعيها.

ويكفي المصريات فخرًا أن أم موسى عليه السلام مصرية، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية، التي قال الله عنها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١) ويكفي المصريات فخرًا أن المرأة الصالحة التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصرية، وقد قال نبينا ﷺ لما كان الليلة التي أُسْري بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة، قلت: يا جبريل ما هذه الرائحة، قال:" **هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها** ". (رواه الحاكم وصححه)

أيها الناس: إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملًا وأحسنهم أخلاقا وأدبًا.

قال تاج الدين الفزاري-رحمه الله-:" من أقام في مصر سنةً واحدةً وجد في أخلاقه رقة وحسنًا ".

وقال ابن ظهيرة-رحمه الله- عن أهل مصر:" حلاوة لسانهم، وكثرة مودتهم للناس، ومحبتهم للغرباء، ولين كلامهم، وحسن فهمهم للشريعة، مع حسن أصواتهم وطيب نغماتهم وشجاها، وطول أنفاسهم وأعلاها، فمؤذنوهم إليهم الغاية في الطيب، ووعاظهم إليهم المنتهى في الإجادة والتطريب، ونساؤها أرق نساء الدنيا طبعًا، وأحلاهن صورة ومنطقًا، وأحسنهن شمائل، واجملهن ذاتًا، وما زلت اسمع قديمًا عن الشافعي-رحمه الله-أن قال: من لم يتزوج مصرية لم يكمل احصانه.

أيها المسلمون:

لقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى لمَّا أُحصي عدد الصحابة الذين دخلوا مصر، أو سكنوا فيها، أو زاروها، أو حكموها، أو دفنوا في ترابها، فتعدوا أكثر من ٣٥٠ صحابيًا. كلهم قد أتوا إلى مصر منهم من جاءها رسولًا أو حاكمًا لها، أو مجاهدًا فيها، أو معلمًا لأهلها، منهم: عمرو بن العاص، عبد الله بن أبي السرح، عبد الله بن عمر، وكلهم قد ولي أمر مصر، منهم: جابر بن عبد الله بن حرام، ومنهم الزبير بن العوام، وعبد الله بن الزبير، منهم: سعد بن أبي وقاص، ومنهم: عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعبد الله ابن الحرث وهو أخر صحابي مات بمصر، ٣٥٠ صحابيًا تخيرت أبرزهم، لكن كلهم قد سكن مصر أو زارها.

وفي مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى.

أيها المسلمون:

إذا تكلمنا عن مصر فإننا نتكلم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام وتابعون أعلام، منهم: الليث بن سعد وهو أمام المصريين والذي قال فيه الشافعي:" الليث بن سعد أعلم من مالك "، ومنهم القارئ ورش، إذا سمعت من يقول على قراءة ورش، فاعلم أنه مصري، اليوم أكثر أهل افريقيا وأهل المغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري، ومنهم الإمام المحدث عبد الله ابن لهيعة، ومنهم الشافعي الإمام وله أئمة كثر كلهم من طلابه وكلهم من المصريين، ومنهم سعيد بن كثير بن عفير وكان إمامًا عالمًا قال عنه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل لما سئل عن مصر قال:" رأيت في مصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن كثير بن عفير"، وكان عالمًا إمامًا . ومنهم عبدالملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة، ومنهم الإمام الطحاوي الذي ألف العقيدة الطحاوية، وهي تدرس اليوم في كل الدنيا وتدرسها الجامعات هنا في المملكة العربية السعودية، تدرسها لطلابها وتدرس في أنحاء الدنيا، ألفها الإمام الطحاوي المصري، ومنهم الإمام بن النحاس، والقاضي عبد الوهاب المالكي، وشيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لزاما إلى عبد الغني المقدسي، وكان قد خرج من الشام وسكن في مصر، ومنهم الإمام البطل العز بن عبد السلام، ومنهم ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، ومنهم القارئ العظيم الذي تحفظ

منظومته طلاب وطالبات كثر في أنحاء الدنيا الإمام الشاطبي، ومن الذي لا يعرف الشاطبي وهو الذي ألف منظومة في ألف بيت في تلاوة القرآن وقراءته ثم أخذ المنظومة وألفها وطاف ألف أسبوع حول الكعبة . . والأسبوع هو سبعة أشواط طافها ثم جعل يدعوا الله تعالى وهو يطوف أن يبارك في هذه المنظومة، وقد انتشرت انتشارًا عظيما. مما قال فيها:

وَبعْدُ: فَحَبل الله فينا كتابَهُ فَجَاهد به حبلَ العدا مُتَحَبّلا
وَأخلق به إذ لَيْسَ يَخلَق جدّةً جديدًا مُوَاليه على الجد مُقبلًا
وَإنْ كتاب الله أوثق شافع وأغنى غناءً واهبًا مُتفضلًا
وَخير جليس لا يُمَلّ حديثه وَتَرْدادهُ يَزدادُ فيه تَجمَلًا
وَحَيْث الفتى يَرْتاعُ في ظلمَاته من القبر يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلّلًا
هُنَاك يَهنيه مُقيلًا وَرَوَضةٍ وَمَن أجله في ذروة العز يجتلى
فَيا أَيهَا القارئ به مُتمَسّكًا مُجلًا له في كل حال مُبجَلا
هنيئًا مريئًا وَالداك عَلَيْهِما مَلابس أنْوَار مَنّ التاج والحُلا
فَمَا ظَنُكُم بالنجل عند جزائه أولئك أَهل الله والصَفوَةُ الملاَ
أولو البرّ وَالإحْسَان وَالصّبر والتقى حُلاهُمُ بهَا جَاء القران مفصلا
عَلَيْكَ بهَا مَا عشت فيها مُنَافسًا وبعْ نفس الدنيا بأنفاسها العُلَا
جزى الله بالخَيْرَات عَنا أئمّة لنا نقلوا القرّآنَ عَذبًا وَسلسَلا.

ومن المصريين مؤلف كتاب" الترغيب والترهيب " عبد العظيم المنذري، ومن المصريين الإمام القرافي وهو من أذكياء العالم، ومن أئمة الدنيا ومن أعيان المذهب المالكي، ومن المصريين ابن دقيق العيد الذي لم تر الدنيا مثله أبدًا، ومنهم خليل المالكي إذا سمعت "بمختصر خليل" الذي يعول عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم فاعلم أنه مصري، ومنهم ابن هشام النحوي، ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب " مجمع الزوائد " ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي ألف "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" ، ومنهم محمود العيني الذي ألف "عمدة القاري في شرح صحيح البخاري" واليه ينسب اليوم قصر العين في مصر. ومنهم الإمام المقريزي، صاحب كتاب "تفسير الجلالين" الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمه بعد ذلك الامام السيوطي وكلاهما مصري، ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الذي وصل عمره مئة سنة الذي لم يترك صلاة الليل إلى أن مات.

ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عبدًا عالمًا صالحًا. جلس في الأزهر يومًا يعلم طلابه فلما دخل أحد الولاة وكان يريد أن يستميل المشايخ لبعض الفتاوى التي يريدها لإلزام بعض الناس بأمور، فقام الطلاب خائفين من كثرة الجند ومبجلين لهذا الوالي، فأخذ الشيخ أحمد الدردير مصحفًا ووضعه في حجره، وجعل يتلوا القرآن وقد مد رجليه، فمر به الوالي فقال: من هذا ؟ قالوا: هذا الشيخ أحمد الدردير، قال: فلماذا لم يقم لما رآني؟، فحاولوا

أن يعتذروا له، فحنق عليه هذا الوالي، ثم ذهب الوالي إلى قصره وأخذ صرة أرسلها مع أحد العبيد، قال: أعطها ذلك الشيخ الذي كان مادًا لرجليه لما مررنا به، فلما أقبل إليه ذلك العبد وناوله الصرة علم الشيخ أن ذلك الرجل أراد أن يذله بقبول المال، فنظر إلى هذا الرسول وقال له: أرجع إلى من أرسلك، وقل له إن الذي يمد رجليه لا يمد يديه!

أما ابطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يطول، كثير من القادة مع صلاح الدين الايوبي كانوا من المصريين منهم القائد: حسام الدين، وكان قائدًا للأسطول البحري المصري، كان شوكة في حلق الأفرنجة. قال عنه الإمام ابن كثير –رحمه الله–: كان البحر في البحر فكم من شجاع أسر، وكم من مركب انكسر، وكم من أسطول فرق شمله، وقارب غرق أهله مع كثرة الصدقات، قال: ولما عمل أرناط الصليبي مراكب واسطولًا، وجعلها في البحر الأحمر ليغزو مدينة رسول الله ﷺ فانطلق إليه حسام الدين بأسطوله المصري ودك أسطول الفرنجة حتى قتلهم عن آخرهم .

ومن أبطال مصر الذين سكنوها صلاح الدين الأيوبي الذي فتح بيت المقدس.

أيها الناس: بل أيتها الدنيا كلها:

لن ينسى التاريخ أبدا أبطال مصر الذين ردوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا واستولى على دمياط فكمن له الأبطال في مصر وأذاقوه سوء العذاب، وأبادوا جيشه، وكانوا عشرات الآلاف، ثم اخذوا هذا القائد الفرنسي وحبسوه في دار تسمى دار ابن لقمان في المنصورة ووضعوا القيود في يديه ورجليه، ووكلوا به حارسًا يسمى صبيح، ثم فدا نفسه بأموال كثيرة عظيمة فأطلق، ثم لما وصل إلى بلده حدثته نفسه أن يعود مرة أخرى لغزو مصر وجعل يجند الجند لذلك فأرسل اليه جمال الدين ابن مطروح قصيدة يقول فيها:

قل للفرنسيس إذا جئته مقال صدق من قئول فصيح
أتيت مصر تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبل ريح
وكل أصحابك أودعتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح
وفقك الله لأمثالها لعل عيسى منكم يستريح
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح
فساقك الحين إلى أدهم، ضاق به عن ناظريك الفسيح
خمسون ألفا لا ترى منهم إلا قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة، لأخذ ثأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها، والقيد باق والطوشي صبيح.

فلما وصلت القصيدة إليه ففزع واضطرب، وعدل عن غزو مصر.

ومن المصرين الأبطال سلطان المماليك قطز، وهو الذي قاد معركة عين جالوت، ومن المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وغيرها من مواضع الجهاد في سبيل الله..

وإذا ذكرت مصر وتاريخها ذكرت العباد والزهاد، ذكرت حيوة بن شريح، وذكرت ابن محمد بن سهل، وكان عابدًا صالحًا آمرا بالمعروف داعيًا إلى العقيدة الصحيحة، وكان يذم العبيدين الشيعة الذين حكموا مصر فترة، فجاء به الخليفة العبيدي وقال له: سمعنا أنك تقول لو أن معي عشرة أسهم لرميت الصليبيين بواحد ورميت العُبيدين بتسعه، فهل هذا صحيح أنك قلت ذلك؟ فقال: لم أقل هذا، قال: إذًا ماذا قلتَ؟ قال: قلتُ لو معي عشرة أسهم لرميت العبيدين بتسعه، ورميت العاشر فيهم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وتنقصتم القرآن، وذممتم صحابة رسول الله، ووقعتم في عرضه، وغيرتم الدين، وقتلتم أهل السنة، قال فغضب عليه، وأمر به وربط ثم دعا رجل يهودي فقال: قطع لحمه حتى يموت، فجعل يقطع لحمة قطعة قطعه وهو يتلو القرآن، وذلك اليهودي يسلخ جلده سلخًا كما تسلخ الشاة، وهو يتلو القرآن، وذاك العبيدي ينظر اليه حتى رق له اليهودي وطعنه بالسكين في قلبه ليقتله حتى يريحه من كثرة العذاب.. إمام من أئمة مصر

وفي مصر أيها المسلمون من الأدباء والكتاب والشعراء أعداد لا يستهان بها ممن زاروها أو كانوا من أهلها فإذا ذكرت وقرأت الشعر الرائق لجميل بثينة وهو من أفصح الشعراء فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت الشعر الرائق لكثير عزة، فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت للشاعر الشهير المتنبي أحمد بن الحسين، فأعلم أنه أقام بمصر أربع سنوات..

إنك تتكلم عن بلد عظيم لا يزال له إلى اليوم ما يؤهل له قيادة للأمة، ومن السير على منهاج أجدادك من صحابة رسول الله ﷺ.

المصريون لا تكاد أن تجد من القرَّاء في العالم من قرأ القرآن وممن معهم إجازات وأسانيد إلى رسول الله ﷺ في حفظ القرآن، إلا وجدت المصريين عليه يدًا.

إما أقرأهم مصري، أو حفظ القرآن على مصري، أو ضبط تجويده مصري، أو كتب له هذا السند مصري، وما تكاد تجد إلى اليوم حتى المشايخ والعلماء في الأرض كلها وتجد منهم من قرأ على مصري، أو درسه في الجامعة مصري، أو صل به إماما يوم من الأيام مصري، ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد، مدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين، بل على جميع العالم، في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطب، وفي الذرة، وفي الهندسة، وفي الدعوة، وفي الأدب، وفي غير ذلك أمر لا يدرك شأوه أبدًا..

أسأل الله- تعالى- أن يحفظ جميع بلدان المسلمين عامة وأن يحفظ مصر خاصة، واسأل الله- تعالى- أن يجمع شملهم، اللهم ولِّ عليهم خيارهم، اللهم اجعل ولايتهم فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يارب العالمين، اللهم احفظهم بحفظك واكلئهم برعايتك، اللهم من أرادهم بسوء أو دبر لهم مكائد فرد كيده في نحره واجعل تدبيره تدميرًا عليه يا قوي يا عزيز يارب العالمين.. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أقول ما تسمعون وأستغفر الله الجليل العظيم لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صل الله وسلم وبارك عليه وعلى آله واخوانه وخلانه ومن سار على نهجه واقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين أما بعد: أيها الإخوة المسلمون فإن الله تعالى أمر بالإحسان والتقوى ونهى الله- تعالى- عن الفرقة والشتات، ونسأل الله تعالى لإخواننا في مصر وفي غيرها أن يجمع الله تعالى شملهم وأن يصب عليهم الخير صبًا صبًا، ولا يجعل عيشهم كدًا كدًا، اللهم نسألك لكل بُلْدَاننا يا حي يا قيوم إنا نسألك لأهلنا في سوريا، وفي فلسطين، وفي اليمن، وفي كل أرض من أرضك يا ذا الجلال والإكرام أن تولى عليهم خيارهم، وأن تصرف عنهم شرارهم، وأن تجمع شملهم، وتؤلف قلوبهم، وأن تصب عليهم الخير صبًّا صبًّا يارب العالمين.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، والحشر من الأتقياء ومرافقة الأنبياء،

ونعوذ بك ربنا من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، اللهم إنا نسألك أن تنصر المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سوريا، اللهم أيدهم بتأييدك اللهم انصرهم بنصرك، اللهم اجعل الدائرة على أعدائهم يا قوي يا عزيز يارب العالمين، اللهم إنا نسألك يا حي يا قيوم أن تجمع كلمتهم وأن تؤلف قلوبهم وان تؤيدهم بنصرك يارب العالمين يا ذا الجلال والاكرام، اللهم انا نسألك يا حي يا قيوم أن تشفي مريضهم وان ترحم ميتهم وتتقبل شهيدهم وأن تنصرهم وتشفي صدور قوم مؤمنين يارب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

سبحان ربك رب العزة عم يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك